المقتطف

رئيس التحرير : اسبيرو جسري

June 1952 الجزء ١ — المجلد ١٢١ يونيو ١٩٥٢

حديث المقتطف

إن المقتطف ، وهو يتابع خطواته الرائدة في خدمة العلم والثقافة في مصر والأقطار العربية كافة ليسره أن يقدم لقرائه الكرام عدده الثاني الممتاز ، شاملاً طاقة شذية من الأحاديث والتمثيليات التي تفضّل بها عليه علم من أعلام العربية المعاصرين هو « الدكتور أحمد زكي أبو شادي » الذي خدم العلم والثقافة ، وقاد حركة التجديد الشعرية في مصر أكثر من ربع قرن .

وهذا السفر القيم «من نافذة التاريخ» هو نافذة نطل منها على بعض أحداث التاريخ الاسلامية وعلى سمات بعض أعلام العرب الأفذاذ ، كما نطل منها على ناحية من ثقافة المؤلف الواسعة ، وموهبته الفنية النافذة ، وأهدافه البعيدة الموجهة .

فقد ضمّ ثلاث مقالات ذكية قصيرة تحدّث في الأولى عن مؤرخي العرب الاعلام ونادى بدراسة مؤلفاتهم وتعاليمهم النزيهة الحرة . وفي الثانية عن العدالة الاسلامية وفي الثالثة عن الحرية النسائية الأمريكية وكيف لاقت أول مدافعة أمريكية عن حقوق المرأة ألواناً من الاضطهاد . كما ضمّ ثماني تمثيليات إذاعية،ست منها تتصل بأحداث التاريخ الاسلامى ، حيث يكمن وراءها ملامح بعض اعلام العرب الافذاذ ومغامرات أبطاله الخالدين وذلك بأسلوبه الفني المركز . واثنتان رائعتان في تاريخ الفكر العربى هما : « الطائر الطليق » و « حارس البستان »

تتناول أولاها شخصية ابن سينا، وزبدة فلسفته. وثانيتهما تتحدث حديثاً فنياً لأول مرة عن حياة الفارابي وشخصيته وآرائه الفلسفية.

تروي التمثيلية الأولى مأساة الوزير العظيم أبي مسلم الخراساني وكيف غدر به الخليفة ابو جعفر المنصور وقتله.. وتقص الثانية قصة الجارية صباح المغنية مع مواليها ووفائها للبرامكة وبكائها وترحمها على أيامهم المجيدة. أما قصة «سلام الترجمان» فهي قطعة من صميم الحياة العربية.

وميزة هذه التمثيليات أنها تناولت موضوعات جديدة لم يطرقها مؤلف قبله: كقصة «أكبر خان» الملك الهندي المسلم، وامتناع الهندوسية «انديرا» عن قتله بعد أن تأيد لها إنصافه وعدله، وكقصة «أبي دلف الخزرجي» ورحلته الى بلاد الصين مع تابعه «عبد الباسط» ووصفه لما رآه هناك..

كما تمتاز بالاخلاص للحقيقة التاريخية والتجاوب مع العصر والشخوص والبواعث تجاوباً قوياً، فضلاً عن عنصر الفكاهة الذي يتخلل القصص والأهداف الانسانية التي قصد إليها المؤلف، وما يتمثل منها من عبر بليغة حية.. وهذه القصص مع قصرها قد اكتملت موضوعاً وفناً، فقد تمكن المؤلف من رسم صورها بريشة مصور ماهر يكتفي بابراز المشهد بقليل من الخطوط والاضواء

ولا نستطيع في هذا الحديث أن نحلل هذه المجموعة تحليلاً فنياً ولكنا ندع القارىء يستمتع بما وعته من حقيقة أبرزها الخيال، وجد مازجته الدعابة، وبخاصة أن بعض القصص مثل قصة «سلاَّم الترجمان» تتحدى التحليل، وتضيع طلاوتها اذا حاولنا التعليق عليها.

ولا يسع المقتطف إلاّ أن يشكر للدكتور أبي شادي هذه النفحات الأدبية النفيسة التي تحلي بها جيد هذا العدد الممتاز.

✡✡

تصدير

يشمل الجزء الأول من هذا الكتاب ثلاثة أحاديث وثماني درامات ألفتها للأذاعة على العالم العربي من محطة (صوت أمريكا) في نيويورك، في حدود القيود الزمنية والتمثيلية التي تفرضها مثل هذه الأذاعة، وقد تيسرت فعلاً إذاعة معظمها فنالت تقديراً عامًا في الأقطار العربية شجع على طبعها.

وسواء أكانت نثراً أم نظماً، موجزةً أم مسهبة نسبيًّا، فأن عنايتي الأولى كانت موجهة، بجانب خدمة الأدب والفن، إلى التعبير عن الخواطر الأنسانية أو المثل الأصلاحية التي افترنت بجهودي الماضية والحاضرة لخدمة وطني الأول العزيز، ووطن اقامتي الذي رحّب بي وأكرمني، ولخدمة الأمم الناطقة بالضاد التي يجمعها أخوة اللغة والثقافة الوثيقة العرى.

وليست لي من وراء نشرها الآن - بفضل عناية اللجنة الأدبية التي تألفت في مصر لنشر آثاري، ولا للجنة ذاتها - أية غاية مادية.

وإذ كان هذا أول آثاري الجديدة التي تظهر في مصر، فانه ليطيب لي أن أؤدي الواجب عليَّ بشكر صديقي الأستاذ الأديب «عيسى خليل صبّاغ» رئيس القسم العربي في محطة (صوت أمريكا) الذي لولا حمايته لأنتاجي المتواصل، ولولا

اهتمامه الصادق به، لما تيسرت موضوعات هـذا الكتاب وما سيتبعه من كتب متعددة في الأدب والفن واللغة والنقد والبحوث الانسانية وسواها . ثم بشكر لجنة النشر الغيورة التي يرأسها صديقي الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجي أستاذ الأدب بكلية اللغة العربية بالجامعة الأزهرية ، وجميع أعضائها من أدباء مصر اللامعين ، وقد صدق عليهم جميعاً تعريف أبي تمّام للأخوة الفكرية الأدبية التي تمتزج كل الامتزاج بالعاطفة النبيلة .

وقد كان للأستاذ صباغ فضل آخر في إبراز التمثيليات التي تضمنها هـذا الكتاب وكتابي (من ملعب الحياة) الذي سيتلوه ، وكذلك الفرديات والثنائيات الشعرية التمثيلية على صورة شائقة ، بفضل عبقريته التمثيلية المقدرة في العالم العربي ، والتي تساندها شاعريته وروحه الأدبية وثقافته الواسعة ثم قلبه الكبير .

ولا يسعني أخيراً إلاّ أن أعترف بديني الأدبي لجميع المؤرخين من قدامى ومحدثين ، ولدائرة المعارف الأسلامية ولأخواتها من المراجع الهامة ، منذ كنت حريصاً على احترام التاريخ في تأليفي ، وان أطلقت لقلمي العنان في التناول الأدبي الفني لموضوعاتي ...

نيويورك في أول مايو سنة ١٩٥٢ — احمد زكي أبو شادي

من نافذة التاريخ

تمهيد

صدرت حديثاً عن لندن حلقة جديدة من السلسلة المعروفة « بحكمة الشرق » Wisdom of the East Series تناولت الزبدة الخالصة و لباب اللباب من فلسفة مؤرخ العرب الأشهر العلامة عبد الرحمن بن خلدون كما رسمها في مقدمة تاريخه العظيم ، وإن لم يعش ليتمه وليشذبه كما كان يهوي ، او ليطبّق في تصاعيفه المبادىء التي أختطها في مقدمته ، فجاءت نسخته الاصلية من التاريخ وفيها صفحات بيضاء عديدة ، ولعله ترك لقرائه أيضاً ذلك التطبيق بعد أن أوضح لهم مذهبه في الاسباب والنتائج وفي مقاييس الحوادث . ولكنه بعمله الخالد كان سابقاً لزمنه ، وكان أول مؤلف عرفناه في فلسفة الاجتماع والتاريخ ، وكان إماماً هادياً نزيهاً عظيماً لن يستغنى العرب عن التزود من تعاليمه والانتفاع بها ما داموا يتطلعون الى مجد جديد .

ذكرني ظهور هذه الحلقة من السلسلة بواجب أدبي عليّ في تعاوني مع (صوت أمريكا) ، فليس ما أنوي اذاعته من خطرات عن روائع الأدب العربي أو الأدب الأمريكي ، ومن قبسات من سماء الفن ، ومن ذكريات الأعلام ، ومن صور مقتطفة من مرائي الحياة ، ونحو ذلك من موضوعات جليلة ، — ليس شيء من هذا ولا كل هذا بالذي يعفيني من التطلع من شرفة التاريخ أو من نافذته الى حوادثه وعبرها مشركاً معي المستمعات والمستمعين فيما يجب أن لا يفوتنا علمه .

والعناية بالتاريخ من تقاليد الثقافة العربية منذ قرون حتى بلغ عدد المؤرخين العرب زهاء سبعمائة مؤرخ في القرون العشرة الأولى من الهجرة ، كما تعددت مناحيهم في تناول موضوعات التاريخ . وبينهم أعلام من أهل التحقيق والفكر السليم نعتز جميعاً بسيرتهم ، كما يذكرهم بالتبجيل أحرار الفكر المطلعون والمتأملون في الأقطار المختلفة .

وحسبي في هذا الحديث الأول ، بعد الاشادة بأهمية التاريخ في اليقظة الانسانية ، وبقيمته كمادة أدبية لا تفنى ، أن أنوّه بالشخصيات العالمية بين مؤرخينا القدامى وبآثارهم البارزة النفع للعرب .

ففي طليعة هذه الشخصيات الجهيرة الباقية الذكر محمد بن جرير الطبري أول من وضع تاريخاً كاملاً في اللغة العربية ، وإن أتبع طريقة العرب القديمة – طريقة التوقيت أي التأريخ ، ذاكراً حوادث كل سنة مستقلة ، خلافاً لطريقة الاغريق الذين كانوا يمدون التاريخ توأماً للقصص . عاش الطبري بين السنة الثمانمائة والثامنة والثلاثين والسنة التسعمائة والثالثة والعشرين وعلى هذا قد شع نوره أكثر من ألف سنة فقد كان مفكراً حراً نزيهاً جبّار الذهن ، وكان موسوعة معارف متعددة ، كما كان آية في صدق القول الصريح ، وبلغ من تفكيره الصريح أن أنشأ مذهباً دينيّاً خاصّاً به أكثر تقدماً من المذاهب المعروفة في زمنه ، فتعرض في بغداد لثورة الحنابلة عليه . ويعد تاريخه المظيم أهم مصدر للتاريخ الاسلامي من الهجرة حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، مع احتوائه أيضاً على معلومات قيّمة عن العصر الجاهليّ . وقد عني بتذييله مؤرخون تالون من أهل المكانة حتى أبلغوه نهاية القرن الخامس الهجري تقريباً ، كما عني باختصاره غير كاتب وكاد يضيع الأصل وسط هذه المختصرات ، لولا عناية المستشرقين بجمع أجزائه المصورة من عواصم شتى وطبعها في مدينة ليدن في مستهل هذا القرن وأقل ما يجب عمله إزاء هذا الامام الجليل الذي يعد أبا للتاريخ الاسلامي ، أن تصدر طبعة أخرى مجددة من تأليفه (أخبار الرسل والملوك) وفاقاً للموضوعات لا تبعاً لمجرى السنين ، مع شروح وتحقيقات في صورة هوامش تقوم بها لجنة للنشر تختار من الأعلام المؤرخين الباحثين . وان ما يعنينا في ذكرى هذا الامام العلامة ، إلى جانب التنبيه الى الانتفاع العام بدراسة تاريخه المظيم ، والتنويه بمعارفه الواسعة ، أن نمجد خلقه العالي ونفسيته السامية التي لم يبدّلها الفقر ولا الغنى ، فضرب المثل لكل من يود أن يتصدّر للخدمة العامة من حب التواضع وإيثار مصلحة الناس وإرضاء ضميره أولاً وأخيراً وناهيكم برجل يثقف أولاد الأعيان كابن عبيد الله بن يحيى وزير المتوكل ثم لا يرتضي إلاّ أن يعيش عيشة متواضعة ولا يؤمن إلاّ بارستقراطية الفكر والعلم . وهو هو بعينه الرجل الذي تبدّلت ظروفه وما تبدّلت عزة نفسه حتى عندما اضطرته الفاقة الى بيع كمي قميصه ليشتري الخبز !

وكان في مقدمة المؤرخين الذين استفادوا كثيراً من الطبري وبنوا على أساسه ، المؤرخ اللامع ابن مسكويه وزير مالية عضد الدولة البويهي ، فقد ألف تاريخه القيم (تجارب الأمم) بادئاً بالخليقة ومنتهياً بسنة ٣٦٩ هجرية ، وقد عني المستشرقون بطبعه في ليدن واحتفلوا به إبان غفلتنا . ويمتاز تاريخه بتناول الشؤون الاقتصادية والاجتماعية

وبنظراته الشخصية في أحداث الأمم ونقداته إياها ، ولكنه سار على نهج الطبري في التأريخ للسنين . والاطلاع على تاريخه كالاطلاع على تاريخ الطبري رياضة أدبية لغوية ، وتمرس بأساليب بيانيـة قويمـة ، الى جانب ما يحتويه من فوائد وعبر من سير الرجال والامم . وابن مسكويه رجل عظيم النفس ، فقد كان من وزراء الدولة البويهية ، وعلى الرغم من ذلك لم يبع ذمته لهـا ، بل وزن أعمالها بميزان الحق وحده فقال ما لهـا وما عليها — شأنه في جميع أحكامه . وهذه شخصية أخرى رائدة يحق للعرب الاعتزاز بها واستلهام عظمتها .

وشخصية ثالثة عظيمة أعقبت ابن مسكويه ، ولكن بعد ثلاثة قرون ، هي شخصية العلامة الجليل ابن خلدون الذي افتتحت هـذا الحديث التمهيدي بالاشارة إليه . فقد ظهر ابن خلدون في القرن الثامن الهجري بلون جديد للتأريخ ولدرسه وفهمه لم يكن معروداً من قبل ، تسانده في ذلك تجاربه الفذة في المغرب والمشرق واتصالاته العديدة بالسلاطين أو الأمراء والحكام ومفاوضاته السياسية التي شملت حتى تيمورلنك ، إلى جانب اطلاعه الواسع وعبقريته الاصيلة ونزاهته المطلقة وقد جاء وما يزال تحفة رائعة تاريخه المسمى (كتاب العبر ، وديوان المبتدا والخبر ، في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر) فقد وضع به فعلاً أصول علم التاريخ ، وروى في نزاهة مطلقة ما روى من الحوادث حسب الموضوعات بدل السنين ، وجاءت مقدمة تاريخـه سجلاً نفيساً لفلسفة الاجتماع ومقاييس الحوادث وتطورها وتاريخه لا يمتد إلى ما بعد القرن الثامن الهجري فقد توفي سنة ٨٠٨ هـ .

وشخصيـة رابعة من هذا الطراز الجليل النادر ، والذي بدونه لا تقوم للامم قائمة ، هي شخصية المقريزي صاحب الخطط الشهيرة عن مصر الاسلاميـة ، فهو تلميذ ابن خلدون ومقتفي أثره وخير الترحم على هؤلاء الأعلام هو دراسة مؤلفاتهم والاقتباس منها والاشادة بتعاليمهم النزيهة الحرة .

العدالة الاسلامية

أذاع الراديو مساء التاسع والعشرين من أكتوبر سنة ١٩٥٠ أن محسناً أخفى اسمه تبرع لجامعة ييل Yale بمليون دولار للدراسات الانسانية . فهزتني هذه الأريحية روحها ومظهرها ، وبانسجامها مع طبيعة هذه الأمة المحسنة ، ونبهتني إلى أن كثيراً من علل الطوائف والشعوب ، ومن شقاء البشرية ، مرده إلى الجهل بالحقائق الانسانية ، وإلى وضع أمورها في أيدي الحاكمين بأمرهم . لا في أيدي أهل الاختصاص من علماء وفنيين ، وإلى تفشي الأنانية بين الأفراد تشبهاً بحكامهم الغاشمين .

كذلك ذكرتني هذه الهبة السمحة بقصة تاريخية رواها إ . ف نايت E. F. Knight في كتابه الموسوم (حينما تلتقي ثلاث امبراطوريات — Where Three Empires Meet) المطبوع سنة ألف وتسع مئة وواحدة (١٩٠١) . قال : —

(في منطقة كاراكورم — Karakorum — النائية الجبلية يكافح عامة الأهالي جوًّا بارداً عنيفاً . واتفق أن زار الحاكم المسمى راجا رام سنج Raja Ram Singh شطراً كئيباً من هذا القطر ، فقابله جمهور مرتجف رث يحمل مصابيح مضاءة في وضح النهار ! فلما سأل عن معنى ذلك أجابه كليمهم :

« أيها المهرجا ! إن أرضنا اشتدت ظلمتها بحيث أحضرنا مصابيح لتمكن عظمتك من رؤية بؤسنا ! وافدنا لنبتهل إليك لتنجدنا » — . ومرت بخاطري « عمرية » حافظ ابراهيم ووصفه البديع للخليفة العادل وهو نائم دون حراسة كأصغر رعاياه شأناً ... ثم مرت بخاطري المحاولات التي قامت شرقاً وغرباً في الديار الاسلامية فيما بعد لتحقيق العدالة الاجتماعية بالنظام الاشتراكي المعتدل . ولو كانت نجحت إحداها لكانت خلفت من الآثار في تطور المجتمع العربي الاسلامي اقتصادياً وثقافياً مثلما خلفت الحركة الوهابية من الآثار الطيبة في محاربة البدع والخرافات .

ونظرت من نافذة التاريخ فرأيت « الجمهورية الميمونية » في البحرين وما سادها من

العدالة الاجتماعية المطلقة ومن روح التقدم العجيب ، حتى صارت البحرين في حالة تغبط عليها من الفلاح والازدهار ، ومن الاستقرار الداخلي . وقد زار هذه الجمهورية المثالية من المؤرخين الرحالين أمثال ابن حوقل والمقدسي وناصر خسرو ، فلم يجدوا في أهاليها منقصة واحدة .

ورأيت الرحالة ناصر خسرو يحاضر — بعد زيارته هذه الجمهورية الاسلامية العجيبة حول منتصف القرن الحادي عشر — فيتحدث عن تقسيم تلك الحكومة للأراضي بين المحتاجين ، وعن إلغائها معظم الضرائب ! ومن بين ما بلغ سمعي قوله :

«عندما زرت الأحساء رأيت ثلاثين ألفاً من السودان يشتغلون في الحقول والبساتين على حساب مجلس الحكومة ، وهي حقول مشتراة بمال الحكومة . ولم يكن يدفع المزارعون لها شيئاً من الضرائب . ومن عجز منهم أو أصابه دين فافتقر ، كانت تساعده الحكومة وتسلفه ما يحتاجه من المال حتى يعود إلى حاله ، ومن استدان لا يدفع فائدة عن دينه . وإذا دخل غريب الاحساء وكان من أصحاب الصناعات أو له معرفة بشيء منها استأجرته الحكومة واشترت له أدوات حرفته ، حتى يحسن حاله فيرد المال كاملاً إلى الصندوق العام دون فائدة أو ربا »

وعلاوة على ذلك تساعد الحكومة المعوزين والمنكوبين وتحارب الفقر كما تحارب الجهل والمرض ، وتؤدي وظيفة جمعية كبرى تعاونية مركزية ، فتقوم مثلاً بطحن الحبوب مجاناً على حساب صندوق الجمهورية العام . وهكذا لم يكن في الأحساء ولا فقير واحد ! والتجارة عامة بيد الحكومة ولا سيما الخارجية منها ، والأرباح الناجمة عنها تنفقها الحكومة على المرافق العامة . وهكذا العيش في هذه الجمهورية هادىء مطمئن ، والناس ينعمون بالاخاء والمساواة والعدالة والبحبوحة ، وهم في أمن كامل من الخوف إذ لا ينغص عيشهم ظلم أو ضريبة ، وحريتهم الفكرية والدينية مصونة . وهم مسلمون ، تقدميّون في مذهبهم ، إذ أنهم لا يؤمنون إلاّ بالقرآن الكريم ويشكّون في صحة معظم الأحاديث ، وينفرون من البدع والخرافات ومن سيطرة الاقطاعيين ومن نظام الطبقات والامتيازات الذي يخالف روح الاسلام الحريصة على الاخاء والمساواة . ولو ترك الميمونيون وشأنهم فلا ريب أنهم بالغون منزلة رفيعة ديناً ودنيا . ولكن أخشى ما أخشاه أنهم سيتعرضون للاختلاق عليهم والتشويه نهضتهم نظراً لخطرها على أصحاب الحكم المطلق

وعلى الجامدين المستغلين الدين لأطماعهم الدنيوية . كذلك أخشى أن تدفع الحماسة بهؤلاء الجمهوريين إلى الغزوات ثم الى الحروب الخارجية نشراً لمبادئهم الاصلاحية ، بدل الاعتماد على الكتب والنشرات وحدها ، وبذلك قد يجازفون بالنظام الرائع الذي أسسوه تطبيقاً للمبادىء الاسلامية الرفيعة التي انحرف عنها حكام المسلمين طمعاً في الدنيا ، فجرّوا بذلك الويلات على أممهم » .

ولم يمض وقت طويل حتى رأيت مخاوف ناصر خسرو تتحقق ، فخسر العرب والمسلمون أعظم جمهورية مثالية نبتت في جزيرة العرب وضاعت معها جميع المؤلفات والوثائق والدراسات والخطب والرسائل والمضابط المعبرة عن مبادئها وعن آراء زعمائها ومفكريها وهيئاتها ، وتركنا نتلمس الحقيقة بصعوبة وسط طوفان من الأكاذيب التي اختلقها خصومها عليها وتناقلها الكتاب المحرومون البحث والاستقلال.

يؤمن عامة الصينيين باتصال حياتهم بحياة أجدادهم الأقدمين ، ولو مرّت على وفاتهم مئات السنين ، فيوقرونهم ويستلهمونهم ويضعون على قبورهم في احتفال الربيع قصاصات صغيرة من الورق الأصفر ذكرى واجلالاً لهم ، كما قد يقيمون هياكل بديعة لذكراهم . أما تقاليد المسلمين بل العرب عامة والأمم الناطقة بالضاد التي تأثرت بحضارتهم وحكمتهم فتدعو الى المحاكاة الفكرية والروحية والى اجلال الأجداد المحسنين وتراثهم عن طريق الدراسة اليقظة والانتفاع بهباتهم التي خلّفوها لنا وللانسانية عامة ، ولو طمستها الأهواء والتحزّبات السياسية أجيالاً طويلة .

الحركة النسائية الامريكية

في ١٧ نوفبر سنة ١٦٣٧ أي منذ أكثر من ثلاثة قرون وقفت أول مدافعة عن حقوق المرأة في التاريخ الحديث أمام قضاتها في بوسطن .

تلك كانت Mrs. Anne Hutchinson كريمة أحد رجال الدين ، ومن نابغات النساء المفكرات في عصرها . وقد رنّت صيحتها بالدفاع عن شخصية المرأة وانسانيتها وعن حقها في التفكير المستقل ، وتردد صداها في أقطار شتى جيلاً بعد جيل ، فهي من ألهمت حركة تحرير المرأة وحينما يذكر مثلاً كفاح المرأة المتزوجة في انجلترا منذ منتصف القرن التاسع عشر للحصول على حقها في الملكية ، وفي التصرف المستقل عن زوجها في شؤونها المالية ، ثم كفاحها بزعامة Mrs. Pank hurst في مستهل القرن الحالي لاستخلاص حقوقها السياسية ، وحينما يذكر فوز نساء زيلاندا الجديدة ببعض هذه الحقوق في سنة ١٨٩٣ ، وصيحة قاسم أمين في مصر لتحرير المرأة منذ سنة ١٨٩٩ ،والتطورات التقدمية للحركة النسائية الى أن فازت نساء أمريكا منذ ثلاثين عاماً بحقوقهن السياسية الكاملة وصارت منهن الوزيرات والمندوبات الى الأمم المتحدة ، وكاد الحزب الديمقراطي يرشح Mrs. Elenor Roosevelt لنيابة رئاسة الجمهورية ، وصارت النساء الأمريكيات قوة عظيمة فعّالة غلابة في اقتصاديات الأمة وفي التوجيه الاصلاحي الاجتماعي ، وتألفت الأحزاب النسائية النشيطة في الأقطار التي يتطلع نساؤها إلى المساواة بين الجنسين كحزب (بنت النيل) في مصر الذي ترأسه بجدارة الدكتورة درية شفيق — حينما يذكر كل هذا والنهضات النسائية العظيمة التي تسلسلت في أنحاء العالم ، يقضي الوفاء باكرام ذكرى آن هتشنسون Anne Hutchinson الرائدة الأولى للحركة النسائية .

وإذ نطل من نافذة التاريخ نجد حاكم بوسطن Sir Henry Vane جالساً إلى مكتبه وهو يحاور وفداً من رجال الكنيسة وأعيان المدينة وقد جاء الوفد يلحف في المطالبة بانزال أحدّ العقوبات بآن هتشنسون بل بالتنكيل بها ، ونسمع المجادلة الآتية بينه وبين رجل الدين الأول الناطق بلسان الوفد ، وقد لمع في عيني الحاكم بريق الحزم والسخط .

— «ليس في وسعي أيها السادة أن أكون ظالماً على هذه المرأة الصالحة». — «وأي صلاح هذا الذي يقترن بدعوى أنها أهل لارشاد الكنيسة، وأن رأسها يساوي رؤوسنا تماماً، وأن رجال الدين ليسوا وحدهم القادرين على تفسير (الانجيل) المقدس، وأنه لا حق لرجال الدين في المساعدة على تحقيق الحكم الصالح، وأن عقل المرأة المخلوقة من ضلع للرجل مساو لعقله؟».

إنّ هذا هو عين الكفر بارادة الخالق الذي ميّز بين الجنسين، وجعل الرجال قوّامين على النساء.

— «لا تنسوا أيها السادة أن أجدادكم لم يأتوا إلى هذه البلاد إلاّ هروباً من الاضطهاد الفكري ونشداناً لحرية العقيدة. وأنا لا أرى ما ترون في شأن هذه السيدة التقية، ولا يمكن أن ينالها مني أو بواسطتي أي أذى».

— «ما هذا الكلام يا سعادة الحاكم؟ إن هذه المجنونة الدعية تثير النساء ضد الكنيسة، بل تثيرهم ضدّ الرجال عامة، وقد تمادت في تبجحها، فصارت وما زالت تعقد اجتماعات أسبوعية من النساء لمجرد التشهير بنا، والثورة علينا. وما دمت لا تريد التدخل في أمر هذه الثائرة فسنستعمل حقنا الذي خصّنا به الاله العلي، وسنبت في شأنها عاجلاً».

ثم ودّعوا الحاكم في شبه غطرسة، والشرر يكاد يقدح من عينيه. وما كان بوسعه أن ينقذها من مخالبهم وهو يعلم أن مستعمرة خليج ماسّاشوستس كانت بنظام حكمها شبه ثيوقراطية تسيطر فيها الكنيسة تمام السيطرة على الرجال فضلاً عن النساء.

ثم نظرت مرة أخرى من نافذة التاريخ وكررت النظر، فشهدت محاكمة Anne Hutchinson على أيدي تلك الطغمة، وقد وقفت هذه السيدة النابهة في شجاعة تجابه قضاتها الأربعة الذين جلسوا الى منضدة فاصلة بينها وبينهم. ولمحت زمرة من الرجال جالسين على جانبي القاعة، كما لمحت عدداً من الحراس، وسمعت بين ما سمعت هذا الحوار بين رئيس القضاة «والمتهمة»: —

— «إنك مذنبة بتآمرك على الكنيسة إذ تعقدين اجتماعات من النساء الغبيّات، وهمكن انتقاد مواعظ الأحد وتعاليم الكنيسة، وتشجيب طاقة الرجال، ولذلك قرر

نظار الولاية محاكمتك بواسطة هذه المحكمة العامة » .

— لا ذنب عليّ في شيء . بل الواجب عليكم أن تشكروني بدل مؤاخذتي .
فقد نبهتكم بسلوكي الى أنكم لا توقرون أمهاتكم وزوجاتكم التوقير الواجب ، والى جهلكم تربية بناتكم ، فينشأن خانعات راضيات عن سلب حقوقهن الطبيعية . وان حرمانكم المرأة التفكير في شؤون الكنيسة والمساهمة فيها ، بل حرمانها الاهتمام حتى بشؤونها الخاصة لظلم وخيم العاقبة . واعلموا أيها السادة أن عقل المرأة ليس دون عقل الرجل بل ربما كان أفضل منه ، وأن حقها ليس دون حقه ، وأن ما تتشدقون به من تحليل وتحريم في مواعظ الأحد ليس من المسيحية في شيء . . . . »

ولم تطل هذه المحاكمة الصورية غير يومين ، وانتهت بصدور الحكم بنفيها . . .
فانتقلت مع شيعتها الى (رود أيلاند) حيث جعلت الشعار السائد حرية الفكر ، وأنه لا تجوز معاقبة أحد على رأيه المستقل وعقيدته .

ولما توفي زوجها انتقلت الى ولاية نيويورك حيث أسر الهنود الحمر جميع أسرتها البالغ عددها خمسة عشر شخصاً ، وذبحوهم جميعاً عدا طفلتها سوزانا Susana سنة ١٦٤٣ .

وكاد أنصار هذه الرائدة الحرة الفكر يعدونها كالقديسة ، ويعتبرون دمها الزكي قرباناً للحرية ، وعلى الأخص لحرية المرأة .

مقتل أبي مسلم الخراساني

درامة في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

أشخاص الرواية

أبو مسلم الخراساني	نيزك
سعاد ، جاريته	عيسى بن ميمون
مالك بن الهيثم	أبو جعفر المنصور

يمثل المنظر الاول ، حجرة الاستقبال في دار أبي مسلم الخراساني بحلوان ، وقد تصدر القاعة في حالة نفسية مضطربة من جراء الحاح الخليفة عليه بالتوجه الى المدائن ، والمثول بين يديه ، وقد كان يخشى غدر الخليفة أبي جعفر المنصور ، لما بينهما من تنافس وضغينة ، وإذ كان أبو مسلم على هذه الحالة دخلت عليه جاريته الامينة سعاد متلهفة دون استئذان .

سعاد — عفواً يا مولاي ، إذا تطفلت هكذا بالدخول عليك في غير استئذان ، ولكن هو ولائي لذاتك الكريمة ، ولبيتك ، يفرض عليّ أن أطلعك دون ابطاء ، قبل أن تبت نهائيًّا في أمر رحلتك الى المدائن ، بما يهمس به الناس بل خاصتهم ....

أبو مسلم — لا جناح عليك يا سعاد ، أراك مذعورة ... فماذا يقول أولئك الناس ؟ .... اجلسي وكوني مطمئنة ...

سعاد — يقولون يا مولاي ما قاله المنجّم ... ويرددونه ... ويؤكدونه ... ويزيدون عليه شرحاً وتأويلاً ...

أبو مسلم —(متوجساً) هدّئي روعك يا سعاد . ماذا قال المنجّم ، وماذا يقول الناس ؟

سعاد — قال المنجم ، إنه رأى أسداً له مثل رأسك اصطفاه ثعلب خبيث ، له رأس كرأس المنصور ، وادّعى هذا الثعلب أن له دالة على الأسد لأن والد الثعلب كان صديقاً حميماً للأسد ، فتفاهم الأسد والوالد على أن يقوم الأسد بالغزوات والفتوحات ، فتكون في يده القوة الحربية ، في حين يحتفظ الثعلب الكبير بالادارة ومظاهر الملك ، فتكون

في يده القوة السياسية ، وعلى أساس هذا التفاهم قضى الأسد على المنافسين ، وبنى ملكاً جديداً نعم به الثعلب الكبير أكثر مما نعم به الأسد . ثم مات الثعلب الكبير وحل محلّه ابنه الأكبر ، ولكن الابن الأصغر — وهو الثعلب الصغير — كان يحقد على الأسد ، وينفس عليه شهرته وحسن مكانته ، وكان يغري اخاه بالكيد للأسد ، وبالتآمر على قتله ، فكان أخوه يجزع لمحض الفكرة ويعزف عنها عزوفاً ، وأخيراً توفي الأخ الأكبر وآل الأمر الى الثعلب الصغير ، وكان منذ سنين قد أصدر حكماً بينه وبين نفسه بقتل الأسد على الرغم من علمه بأنه البطل المغوار والقائد المحنك الذي لا يعوّض للدولة ، ولكن هكذا قضت أنانيته الحاسبة . . .

أبو مسلم — (مقاطعاً ، وهو يتمالك روحه) مهلاً يا سماد ، اني لا أرى وجهاً للتشبيه والمقارنة . اني رجل عملٍ وكفاحٍ ، ولا أثق بالأحلام والمنجمين ، وقد أعتد بنفسي ولكنه اعتداد من يصون كرامته لا اعتداد الغطرسة ، ولولا ذلك لما تمكنت من ضرب ملك بني مروان واقامة ملك بني العباس مكانه وأنا في شرخ الشباب ، ولماذا يحقد أبو جعفر عليّ وقد أمنت له الأقطار وأخمدت الفتن ، ومن بينها ما قام بها عمه عبد الله ، ولم أبنِ مجداً لنفسي على حساب الدولة ولا على حسابه هو ، بل الدولة هي التي بنت مجدها على حسابي .

سماد — عفواً يا مولاي . . . اني أروي لك حديث المنجّم على علاته ورأي الخاصة فيه وهمس الناس عنه ، لقد رأى المنجم ذلك الثعلب النحيل يكيد للاسد ويستفزه للغضب والسخط والثورة حتى إذا ما غدر به وقتله فيما بعد لا يقول أحد انه اغتاله ، وانما يقال إنه عوقب لنكثه بالعهد وان يكن أسداً . وقد رأى المنجّم صديقين للأسد يشبه وجهاهما وجهي صديقك مالك بن الهيثم ونيزك ، وهما يشيران عليه بفصم علاقته بالثعلب وبالرجوع الى عرينه في خراسان والاستقلال به ، وبأن لا يصيخ الى الترغيب ولا الى الترهيب ولو جاءا من عملائه أو أصحابه ، فالسلامة كل السلامة في البعد عن الثعلب الداهيـة الخبيث ، ولكن الأسد لم يسمع الى النصح المتكرر ولا إلى الانذار المتتابع ، وتوجه الى الثعلب كأنما القدر الجبّـار يسوقه إليـه سوقاً ، فاستقبله الثعلب كما استقبل قواده أحسن استقبال وفي اليوم التالي أعد أربعة من الضباع من بين حراسه الأشداء ، فهجموا على الأسد وهو في مجلس الثعلب على غرة منه وفتكوا به ، ثم رمى بأشلائه في دجلة

(يسمع وقع أقدام مقتربة)

أبو مسلم — (ملتفتاً) كفى . كفى . إنصرفي يا سماد . فاني أسمع وقع أقدام وها هو مالك

ابن الهيثم ، ونيزك قادمان . (تنصرف سعاد ، ويدخل صديقاه ، مالك بن الهيثم ونيزك)

أبو مسلم — (متمالكا روعه) مرحباً ، مرحباً .

مالك ونيزك — سلام ومودة .

مالك — جئنا معاً تلبية لدعوتك ، ونحن نقدر سببها فما يشغل بالك يشغل بالنا منذ أيام.

أبو مسلم — أنتما موضع ثقتي وملجأ سري ومشورتي في النهاية ، ولا أكتم عنكما أني في حاجة قصوى إلى مشورتكما ، لا أقول إني أفتقدت شجاعتي ، ولكني مبلبل الخاطر ، فبينما سلامتي في اللجوء الى خراسان ، أشعر بما يجذبني الى المدائن ، وهذا أبو داود يكتب الي من خراسان محذراً من معصية الخليفة ومن الرجوع الى خراسان إلا باذنه ، وهذا أبو اسحق الذي أثق به ، وقد أوفدته الى أبي جعفر ليأتيني برأيه ، فجاءني يقول إنه لم يجد من القوم ما ينكره ، وانهم معظمون لحقي ويشير علي بالرجوع الى أبي جعفر فأعتذر اليه عما بدر مني وأستعيد مودته ، وهذا أبو حميد رسول أبي جعفر ينقل الي رسالة شفوية عنه كلها وعيد وتهديد إن أنا خالفته ولم أذهب إليه ، بينما يعدني بكل خير إذا أنا طاوعته وعدت الى التعاون الكامل معه ، وها هم أصدقاء لنا من بني هاشم حضروا مجلس أبي جعفر يكتبون الي معظمين أمره ، محذرين من عاقبة مخالفته ، ملحين بمثولي بين يديه والتماس رضاه .. . ووسط كل هذه البلبلة أشعر بما يجذبني قسراً الى المدائن .

مالك — نشعر بشبكة محكمة حولك تمنعك من الفكاك ... تشعر بعجزك عن النجاة فتستسلم دون تفكير ولا صراع ، وما هذه بطبيعة أبي مسلم .... إن أبا جعفر لسفاح وان تظاهر بالحكمة والتقوى ، وقد أباح دمك منذ بزوغ نجمك ، وتجلي عظمتك ، فهو حقود حسود ذو منطق أناني لا يرحم ، وقد أحل دمك منذ سنين وان لم يعلن ذلك ، وقد حاول تحطيم أعصابك بدسائسه الخبيثة الواسعة النطاق التي تعتمد على التهديد والترغيب في آنٍ واحدٍ ، والرشوة سلاح من أسلحته وبها استعان عليك بمنافسيك وأصدقائك في آن واحد ، وبين الأولين منافسك أبو داود حتى تيأس من اللجوء الى خراسان ، وبين الآخرين أبو اسحاق الذي أجزل له أبو جعفر العطاء ووعده سرا بولاية خراسان ثمناً لخديعتك .....

فتيقظ يا أبا مسلم ، تيقظ وعد الى عزمك وحزمك ، ولا تعبأ بما يقول أبو حميد عن

المنصور . لا تسمع كلام هذا الرجل ، ولا يهولنّك هذا منه ، إمض الى خراسان ولا ترجع ، فوالله لئن أتيت المنصور ليقتلنّك ، وقد وقع في نفسه منك شيء لا يأمنك بعده أبداً

أبو مسلم — وما وراءك أنت يا نيزك ؟ اني والله ما رأيت طويلاً أعقل منك ، فما ترى ؟ فقد جاءت هذه الكتب وقال القوم ما قالوا ، وقد سمعت رأي صديقنا الحيم مالك .

نيزك — لا أرى أن تأتي المنصور ، وأرى أن تأتي الري فتقيم بها فيصير ما بين الري ، وخراسان لك ، وهم جندك ، ما يخالفك أحد ، فان استقام لك استقمت له وان أبى كنت في جندك ، وكانت خراسان من ورائك ورأيتَ رأيك .

أبو مسلم — إني أشعر بقوة خارقة مسيّرة تدفعني الى المدائن ، ولو لقيت حتفي :

ما للرجال مع القضاء محالةٌ ذهب القضاءُ بحيلة الأقوام !

نيزك — أما وقد عزمت على هذا ، ولم تستمع إلى مشورتنا — وإن تظاهرت بطلبها والاهتمام بها — فأحفظ عني واحدة : — إذا دخلت عليه فأقتله ، ثم بايع لمن شئت فان الناس لا يخالفونك ! (فاصل موسيقى رهيبة مدة نصف دقيقة ما بين المنظر الاول والمنظر الثاني)

المنظر الثاني

(يمثل حجرة الاستقبال في دار عيسى بن موسى ابن أخي المنصور وصديق أبي مسلم الخراساني في المدائن ، وقد تناول أبو مسلم الغداء عنده) .

عيسى — سيأتيك ما أفنى القرونَ التي مضت وما حلّ في أكناف عاد وجرهم

ومن كان أنأى منك عزاً ومفخراً وأنهض بالجيش اللهام العرمرم !

أبو مسلم — (مذعوراً) هذا مع الأمان الذي أعطيت ؟ !

عيسى — اعتق ما أملك إن كان هذا لشيء من أمرك ، وما هو إلاّ خاطر أبداه لساني .

أبو مسلم — فبئس الخاطر ، والله إذن . . . (— تدخل الجارية —)

جارية — مولاي ، بالباب رسول من أمير المؤمنين يدعو ضيفنا للمثول . .

عيسى — لينتظر الرسول قليلاً حتى أتوضأ .

أبو مسلم — لا أريد أن أطيل انتظاره إذ أني لم أمكث في حضرة الخليفة إلاّ برهة قصيرة مساء الأمس ، فقد دخلنا المدائن بعد أن أرخى الليل سدوله ، ومع أنه قد تلطف معي ، فإني لم أرتح يا عيسى الى ابتساماته المتكلفة التي بدت كقناع شفّاف ، بيد أني لم

أتبين النيات المبهمة التي وراءها . . . . .

عيسى — كل خير ان شاء الله ولكن لا تعجل بالدخول حتى أحضر وأدخل معك.

(يخرج عيسى للوضوء — وعلى الاثر تدخل الجارية)

الجارية — يلتمس الرسول أن لا تبطىء يا سيدي لأن أمير المؤمنين لا يحب الابطاء.

أبي مسلم — اذن عليَّ أن أتوجه دون انتظار مولاك . .

الجارية — صحبتك العناية والسلامة يا سيدي . . . .

أبو مسلم — (مضطرباً) السلامة ، وهل من خطر ؟

الجارية — هذا دعاء صالح يا سيدي يقال حتى للأسد ، وأنت ذلك الأسد . . . .

أبو مسلم — (مبلبل الخاطر لهذا الوصف الرمزي الذي ذكره المنجم قبلا في حلوان) الأسد ! .

(فاصل موسيقي رهيبة نصف دقيقة ما بين المنظر الثاني والمنظر الثالث)

المنظر الثالث

(يمثل قاعة الاستقبال في قصر أمير المؤمنين أبي جعفر المنصور بالمدائن — بعد المنظر الثاني بوقت قصير ، قبيل الاصيل) .

أبو مسلم — السلام على مولاي أمير المؤمنين .

أبو جعفر — تقدم يا أبا مسلم ، ما لي أراك مضطرباً ؟ هلمَّ واجلس بقربي !

أبو مسلم — لقد نزع الجند سلاحي ، وهذا ما لم أتعوده من مولاي . . . .

أبو جعفر — لا تتكدر لذلك يا أبا مسلم ، فهذا نظام متبع في القصر دون استثناء منذ زمن طويل ، ولكنك باعدتنا فلم تلحظه قبلاً . . . ومهما يكن من شيء فلن يطول بقاؤك هنا . . .

أبو مسلم — (متوجساً شراً) لقد قطعت ورجالي الفراسخ الطويلة لاحظى بالمثول طويلاً بين يدي مولاي .

أبو جعفر — انك لم تقطعها طوعاً يا أبا مسلم ، بل نحن من جعلناك تقطعها اضطراراً بعد أن سددنا في وجهك جميع أبواب الهروب والخلاص ، بعد أن أثبتنا لك غرورك الكاذب وغباءك الفاضح — فقد ألبنا عليك منافسيك وأصدقائك ، وجعلنا وقراً في أذنك فلم تستمع إلى تحذير البصيرين من خلصائك الذين يعرفون أن الغدر لا يمكن أن يصفح عنه لدينا ، واشترينا من حضر معك من قواد . . . .

أبو مسلم — مولاي ! أهذا هو الأمان الذي قطع لي ؟ أيقال لي هذا بعد بلائي في خدمتكم جميعاً ؟ أيعاب عليّ حرصي على حياتي ولا يعاب الغدر بي ؟ من أي نبع هذا ؟ أمن الاسلام وهو الكريم المتسامح الذي لا يجزي الحسنة سيئة ، أم من الرجولة الفحلة واهون صفاتها المروءة وحفظ العهد ؟

أبو جعفر — صه يا لعين أتبكتني في داري وقد خرجت من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ، لقد نكثت بنا فحكمنا عليك لأنفسنا حكمك على غيرك لنا ، ولم تمنعنا رعاية الحق لك من إقامة الحق عليك ، إن ذنوبك لأكثر من أن تحصى ، وقد تعمدت انتقاصنا بكل وسيلة شيطانية قدرت عليها .

أبو مسلم — لا يقال لي هذا بعد بلائي في دولتكم وما كان مني .. هون من غضبك يا مولاي ، ولا تجسّم الأمور فلن تكون الرابح ، إن حكم الله ثم حكم التاريخ فوق حكم الملوك ....

أبو جعفر — (ساخطاً) لو كانت أمة مكانك لأجزت ناحيتها ، انما عملت ما عملت في دولتنا وبوحينا ، ولو كان ذلك إليك ما قطعت فتيلاً ، فلتذهب الى الجحيم ...

(يصفق أبو جعفر فيدخل أربعة من رجاله شاهري السيوف ويضربون أبا مسلم فيصيح)

أبو مسلم — يا أمير المؤمنين استبقني لعدوك ....

أبو جعفر — لا أبقاني الله إذن ، وأي عدو أعدى لي منك ... (مخاطبا رجاله) اضربوا قطع الله أيديكم .....

(تسمع ضربات السيوف)

أبو مسلم — (وقد خارت قواه) الرحمة يا مولاي ... العفو ... العفو ....

أبو جعفر — (متشفياً) العفو وقد اعتورتك السيوف ؟ !

زعمت أن الدّين لا يقتضي فاستوف بالكيل أبا مجرم !
سُقيت كأساً كنت تسقي بها أمرّ في الحلق من العلقم !

(يدخل عيسى بن موسى فيسائل عن أبي مسلم)

عيسى بن موسى — أين أبو مسلم ؟ لقد سبقني لأني تأخرت في الوضوء ...

أبو جعفر — (في وحشية قريرة) — تعني أبا مجرم ! ... ها هو ذاك في البساط ، وقريباً في دجلة ! ....

(موسيقى حزينة لمدة نصف دقيقة ختاماً للرواية)

باسم أمير المؤمنين

دراما شعرية في فصل واحد ذي منظرين

أهم شخصيات الرواية

الجارية صباح	العاس باسل
العاس ماجد	رئيس العسس

(الوقت : غروب يوم صيفي سنة ٨٠٥ م — المكان : حرج للنخيل بجيرة بغداد . المشهد : الجارية صباح وبعض الغلمان في رؤوس النخيل وهي تغني لهم بصوت حزين رثاء بني برمك ، فيقولون في آخر كل صوت : يا « مواليا » ! ، اشارة الى ساداتهم . وقد فاجأم العسس على هذه الحالة .

المنظر الأول — في طريق النخيل

أصوات بعيدة — يا مواليّا يا مواليّا !

الجارية صباح (يسمع انشادها من بعد ضعيفاً) —

منازلٌ كنت فيها بعد بعدكْ دوسْ خرابْ ، لا للعزا تصلحْ ، ولا للعرسْ !

رئيس العسس — أسمعت يا باسل ؟ ـ هلمّوا بنا !

(يسمع وقع أقدام العسس متجهين الى النخيل)

باسل — كأنه ترجيع إعوال لجنة منفره ـ قد فقدت مأوى لها ، ولم تزل محيّره !

ماجد — لعلها تندب كأساً من شراب الشفق أو أنها هاذية من خمرة لم تفق !

رئيس العسس — أتركا الهذيان ما عويل الجانْ
هذه الأشجانْ أو غناء ألحانْ
بل رثاء خانْ منْ يغنيه !

(يسمع الغناء مقترباً ، فينصت اليه العسس)

الجارية صباح (تنشد) :

فأين بمينك تنظر كيف فيها الفرس تحكم وألسنة المدّاح عنها خرس ؟

الغلمان المتجاوبون (ينشدون) – يا مواليّـا ! يا مواليّـا !

رئيس العسس – أبعد هذا تكابران ؟

استمعا ! استمعا ! – هـذا نداء الخيانه

باسل (متعجبا) – وأي خيانة نادت بها الألحان والسمر ؟!
أذكر الفرس معناه بلاء سوف يستعر ؟!

ماجد – ألم تسمعا ؟ تلك نجوى فتاة يجاوبها صبية منشدون ؟
(مستغرباً) لعل الجميع بكوا للنهار ، فباتوا روائعه يندبون !
وفيم التدخل في أمرهم وتعريضهم لخبيث الظنون ؟!

رئيس العسس (متضجراً – قد ضقت ذرعاً بكما !

باسل – (متعجباً) أعلينا اختراع الذنوب للناس إذا ما خلوا من الأوزار ؟!

رئيس العسس (معنفاً) – أيها الأبلهان ! إنّما ندبنا لاكتشاف الأذى وأهل الريبة
لا ليحمي الفساد من وهمنا !

باسل – الوهم هو الظن بالبريء الذنوبا – لا بنو برمك ، ولا قاتلوهم شغلنا

ماجد – . . . . حسبنا قبول المصيبة
عصفت بالكواكب الغرّ فينا ، وأدالت معاقلاً وقلوبا

رئيس العسس – كفى هذياناً ! فها قد وصلنا !

(إنتهاء المنظر الاول ، اذ يبلغ العسس حرج النخيل)

المنظر الثانى – عند حرج النخيل

الجارية صباح – (تنشد في صوت متهدج واضح فيرد عليها الغلمان منشدين من رؤوس النخيل)
منازلٌ ، كنتَ فيها ، بعد بعدكَ درسٌ خرابٌ ، لا للعزا تصلحُ ، ولا للعرسْ !
فأين عينيك تنظرْ كيف فيها الفرسْ تحكّـم ، وألسنة المداحْ عنها خرس

الغلمان (منشدين) – يا مواليّـا ! يا مواليّـا !

رئيس العسس – اهبطوا يا جبناء !

الجارية صباح – من أنت يا هذا ؟ أتحكم في الورى حتى ولو سكنوا رؤوس نخيل ؟!
إنا تركنا أرضكم لشروركم ، فعلام تتبعنا ؟

رئيس العسس — . . . . دعي تضليلي !

أمر الخليفة أن مثلك قتلها حل ، وقد هتفت بكل ويل !

أتروجين لآل برمك بعد ما نحروا ؟

الجارية صباح (ثائرة) — . . . . خسئت ومت أي ذليل !

رئيس العسس — حلمي إذا ما نشدت الحياة لكي تطلبي العفو !

الجارية صباح — . . . . لم آت ذنباً !

رثيت بشعر الوفاء الأبي موالي !

رئيس العسس — رثيت الجريمة والمجرمين !

الجارية صباح — إنما المجرمون سادتك الغر الذين افتروا على الأعلام !

وأذلوا جباه من أنقذوهم وأطاحوا رأس الرئيس الهمام !

آه يا جعفر !

رئيس العسس — . . الخيانة ليست غير هذا ، وقتلك الآن واجب !

فاسكتي واهبطي ، وإلا فاني صاعد !

الجارية صباح (متحدية) — . . . . مرحباً ! تطلّع وحارب !

الغلمان (يتعدون) — يا مواليّا ! يا مواليّا !

باسل — هذه امرأة منكوبة !

ماجد — دعها وغلمانها !

رئيس العسس — يمين الله لن أرضى !

باسل — فيم الحماسة هذه وأميرنا آس على ما كان من نكبات ؟ – أولى بنا ضمد الجروح .

ماجد — . . . . أجل ، فما يجني السلام بقسوة وترات .

رئيس العسس (ثائراً) — أقسمت أقطع رأسها إن لم تجيء لي صاغرة !

باسل وماجد (منكرين معاً) — برئنا منك !

باسل — أما كفت حسرات أشعلت مهجاً وقسّمت أمماً من بعد توحيد حتى نظل نعادي الناس ؟

ماجد — . . . . . نرهقهم ، كأنما هم ضحايا في الصفائد !

الفلاح (ينشدون) — يا مواليّا ! يا مواليّا !

الجارية صباح (متحدية) خنجري من بعد إيماني حليفي فارتقِ النخلة إن كنت شجاعا

لست إلا رمز عهد فاسد كلما أمعن في عسف تداعى !

رئيس العسس — سأريك الموت ألوانا ! (يسمع صوت لصعوده الى أعلى النخلة)

باسل — حذار ! فان خنجرها ليلمع

ماجد — . . . . . وهي لا تخشى !

رئيس العسس — وباسم أمير المؤمنين أصيبها !

الجارية صباح — ليسعدني طعن الضلال بصدركا

وهيهات أن تلقى لدى الحق مطمعا !

حذار إذنْ ! ولتغدُ للحق مدركا !

رئيس العسس — . . . . خذي ضربتي ما دام حمقك من جنى !

(تدفع بضربتها خنجره فيسقط من يده الى الارض ويسمع صوت سقوطه)

الجارية صباح — تحت رحمتي الآن أنت ، لكنني أعفّ عنك !

رئيس العسس (محاولا أن يرقا ليهاجمها بيديه) — باسم أمير المؤمنين يداي تكفياني !

الجارية صباح — خذها إذن نجلاء باسم الحق وحده !

(تطعنه في صدره دفاعاً عن نفسها ، فيسقط من أعلى النخلة وهو يصيح الى أن يقع على الارض ميتاً).

رئيس العسس — آه ! آه !

(في ذعر وهو يسقط الى الارض)

الفلاح (في نشوة الانتقام) — يا مواليّا ! يا مواليّا !

(يضعف الصوت عند الختام مع المد فيه)

(يمتد الانشاد ثم يتلاشى مع موسيقى ملائمة)

[النهاية]

أكبر خان

درامة في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

شخصيات الرواية

الملك أكبر خان	الشاعر فيظي
مظفر خان – وزير مالية أكبر	دانابول – هندوسي أهوس
الفيلسوف أبو الفضل	هارنوم – رئيس حراس الملك أكبر

اندرا – حبيبة دانابول

المنظر الأول

(غرفة الجلوس بمنزل دانابول صباحاً وهو يذرع أرض الغرفة جيئة وذهابا بينما حبيبته إنديرا تحاول تهدئته).

دانابول – إذن أنت متخلّية عني يا إنديرا ، بل متخلّية عن تراث الآباء والأجداد ، بل عن ديننا المقدس – أنت يا من كانت شعلة الوطنية تقبس من ألفاظها النورانيـة المتأججة ، أنت يا من طالما نظر إليها بوذا من ملكوته بشغف وفخر وتقديس ، – أنت ، أنت . . . .

إنديرا – كفى ، كفى ، يا دانا . . . . أكذا يتطاير الحديد المحمي حتى ليكاد باستمراره يفقد كيانه . . . . أيؤثرني بوذا ، كما تقول ، وتنكرني أنت . . . ؟

دانابول – ماذا يعجبك في هـذا الدخيل ؟ إن الجمعية اعتمدت عليّ ، وأنا أعتمد عليك . . . لست أنا الذي يعن أمة تضحية ، ولكني أضن بمؤامرتنا أن تفشل . . . . ليست البطولة في الاقدام ، ولكن البطولة في النجاح . . . . أنتِ أعز عليّ من نفسي يا إنديرا ، ولكن وحي بوذا الذي أطل علينا بعد ابتهالنا الأخير لم يدع لجميعنا مناصاً من هذا القرار الحاسم .

(تبكي اندرا)

ما هذا البكاء يا ابنة الكنج ؟ أتحسبين أني من يعرّضك للمخاطر غافلاً ؟ لقد ابتهلت

ليلة أمس الى بوذا ليرشدني فأوحى اليّ أن أعتمد عليك، لأنك شجاعة رزينة تملكين أعصابك فتطيعك ولا اطاعة العبد سيده :

أنت لولاك ما خلقتُ، فربي عالمٌ أنني بدونك لغوُ
يا نشيدي، بل يا مزامير (بوذا) أيُّ حلوٍ إذا يسوؤك حلوُ ؟
لا تخافي .. فلن يمسك ضرٌّ وسيتلو النجاح نجرٌ وصفوُ ؟

(تكفكف اندرا دموعها وتخفف من بكائها)

إندرا — أنت واهم يا دانا، فلم أكن يوماً بالجبانة طبعاً، ولكنّ الحب جبانة .... إني لا أبالي بحياتي يا معبودي، ولكني أخشى الفشل فأجني عليك وعلى نفسي... إن الحياة جميلة بك يا دانا، ولا أريد أن أمت دونك ولا معك .... أطلب الحياة من أجلك — من أجلك وحدك يا حبيبي وتطاولي على أكبر خان بله قتله هو الموت المحقق لي ولك.

داناپول — هذا لن يكون وقد حلمت ببوذا يباركنا .....

اندرا — ولكنك لم تحلم بالحب مباركاً هذه الجريمة ....

داناپول — أية « جريمة » يا اندرا .. ؟ إن هذا لهذيان منك بل كفر وتجديف ... أيكون القربان لبوذا جريمة ؟

اندرا — بوذا هو الحب، والحب مكمنه قلبي، واشعاعه في الأرض والسماء. انه لم يوح اليّ مرة بغير الرفق والتسامح يا دانا ...

داناپول — أجننت يا إندرا ؟ ... ان أنفاس (أكبر) لتدنس هواء الوطن، وظله ليدنس أرضه :

عارٌ على الوطن العظيم بأهله أن يرتضي حكامه الغرباء

أنسيت يا اندرا كيف يطأطىء كهنتنا الأجلاء الرؤوس له، وكان الأولى به أن يتبارك بتقديم منزلتهم بل بلثم أقدامهم ؟ أترضيك هذه الجوامع تقام بدل هياكل (بوذا) النورانية. اذا تدنس أصل التربة فكل نبت دنس. أنت قديسة يا اندرا، ومثلك مسؤول قبل الناس عن تطهير الوطن من هذا الدنس. ان النور — لا الظلمة — موكل بالنقاء والطهارة واذا غفلت الظلال ونامت فما يجوز للأشعة أن تنام ...

اندرا — تبارك بوذا في ملكوته !

دانابول — وتباركت أنت من نورانيته وجماله ! ... ليبق لك اعاك دائماً قوة وبهاء إن (هارنوم) رئيس الحراس صديقي ، وسأوصيه بك خيراً ليمهد لك لقاء ذلك الطاغية الدخيل فيتلقى من يدك الطعنة القاضية .. اعتمدي على (هارنوم) فانه يحبني ولا يخيب لي رجاء . أجل ، اعتمدي على (هارنوم).

(تسمع طرقات على الباب فتنتفض انديرا شوقاً)

إنديرا — (بصوت خافت) من ترى ؟ لقد كشفنا . لقد كشفنا .

(تتجدد الطرقات)

دانابول مؤنبا بصوت خافت) تمالكي عن روعك .

دانابول — (بصوت مرتفع) من الطارق ؟

هارنوم — ألا تزال تحلم يا صاحبي ، أنفض الكرى عن سمعك فتعرف صديقك الحميم !

دانابول (مخاطباً انديرا بصوت خافت) هذا هارنوم فاطمئني !

(بصوت مرتفع مجيبا الطارق) — أهلاً بالحبيب الأعز . أدخل يا هارنوم فالأبواب ليست إلا ..

(يدخل هارنوم)

هارنوم — سلام يا صديقي الأعز . ومن هذه الزهرة الفوّاحة ؟

دانابول — هذه خطيبتي إنديرا .

هارنوم — يومي سعيد يا آنسة بلقائك .

إنديرا — الحظ حظي أنا يا سيدي .

هارنوم — لماذا لا تخفض من صوتك يا صاحبي ؟ سمعت اسمي يردد على لسانك . فأية « مؤامرة » تريد أن تزج بي فيها ؟

انديرا (واجفة) — مؤامرة ؟ ! .

هارنوم (ضاحكا) هذا مزاحي يا آنستي مع صديقي (دانا) ، فاني أعلم أنه لا يذكرني إلاّ بالخير .

دانابول — « مؤامرتي » يا أخي هي نصحي (انديرا) أن تقصدك لتمهد لها لقاء جلالة الملك .

هارنوم — وهل لديها ظلامة ؟

دانابول — نعم ، ولكنها ظلامة شعبية ، لا خاصة بها وحدها .

هارنوم — وهل لي أن أعرف ما هي ، فقد أوفر عليها العناء وأحقق لها بغيتها من أهون السبل .

انديرا — إن شكواي خاصة بالخدمة العامة الواجبة لربنا (بوذا) تبارك وتعالى !

دانابول وهارنوم (في وقت واحد) — تبارك وتعالى !

انديرا — ولذلك أوثر احتراماً للرب المقدس أن أحتفظ بسر مهمتي حتى أتشرف بالمثول بين يدي جلالة الملك .

هارنوم — كما تشائين يا آنستي ! كل ما عليك إذن الحضور الى مكتبي في القصر الملكي عند الغروب فتشرق شمسك فيه . ولا ريب أن جلالة الملك سيبهره حسنك الفريد

إنديرا — هذا تلطف منك يا سيدي كما يشفق الندى على العشب .

هارنوم — بل هو تلطف الزهرة التي تضيف الندى .

إنديرا (وهي تهم بالخروج) — استأذن للانصراف حتى أستريح وأهيء أعصابي لمهمتي الخطيرة في هذا المساء .

دانابول وهارنوم (في وقت واحد) — على بركة (بوذا) وفي حفظه .

(ينتهي المنظر الاول وهى خارجة)

•

المنظر الثانى

مكتب هارنوم رئيس حراس الملك أكبر عند مدخل القصر الملكي وقد جلس معه صديقه مظفر خان وزير المالية وهما يتحدثان في شؤون الدولة

هارنوم — هذا — لا ريب — نبأ سار .

مظفر خان — (متلفتاً نحو الباب) من هذه الحسناء الواقفة بالباب ؟

هارنوم — هذه خطيبة صديق عزيز ، ولها حاجة عند صاحب الجلالة . وإنى

لاستأذنك يا صديقي في دخولها .

مظفر خان — بكل ترحيب .

هارنوم — أدخلي يا إنديرا واستريحي معنا قليلاً .

إنديرا — شكراً يا سيدي !

هارنوم — مالك مضطربة يا إنديرا ؟! . إن جلالة الملك آية في التواضع ومحبة شعبه فلا تهيبي لقاءه ، وستسمعين من صديقي صاحب السعادة مظفر خان وزير المالية آيات عن عظمة جلالته ، فقد كان يحدثني عن ذلك منذ لحظة .

مظفر خان — نعم ، نعم . إن مولاي صاحب الجلالة يقصر مجلسه على العاملين النافعين من وزراء وغيرهم ، ويقرب إليه أهل العلم والأدب ، وحديثه متعة الألباب لأنه ينمّ عن ذكاء خارق وخبرة ناضجة . وهو أبعد الناس عن الأنانية وعن الملذات الرخيصة ، وحتى طعامه مقصور على وجبة في اليوم . ويكفي برهاناً على ذهنه الوقاد اختراعه للبندقية أنبوبة الحديد التي لا تنفجر . أما سياسته الحكيمة فهي غنية عن التعريف .

إنديرا — لقد شرفت يا سيدي بالاستماع الى حديثك ، وأنا لا أفهم شيئاً في السياسة مطلقاً ، فهل تسمح لي رغماً عن قصوري وعجزي أن أسألك ما الذي صنعه جلالة الملك المسلم لرعاياه الهندوس ، ثم أية حرمة أصبحت ترعى لبوذا تبارك وتعالى ؟

مظفر خان — في مقدمة ما تم مولاي الملك يا بنيتي نحو طائفتك الكبيرة أنه ألغى الجزية عن الهندوس وقد تشبث بها سابقوه ، ومنع زواج الأطفال واشترط رضى الزوجة والزوج لصحة الزواج ، وحرّم حرق الأرامل وأباح زواجهنّ ، واحترم عقائد الناس جميعاً ، وأنشأ بيت الحكمة الذي يجتمع فيه أئمة الدين جميعاً وفي مقدمتهم أئمة البوذية . أما ما صنعه للمملكة عامة فأهمه ضمان الحرية الشخصية حتى مع المتهم الذي يحقق معه ، فقد حرم تعذيبه للاعتراف . وبلغ من حب مولاي الملك للعدالة أنه أمر بتعليق الناقوس المشهور أمام القصر فيدقه أي متظلم فيستقبله جلالته بنفسه ، وينظر في شكواه فوراً . وهكذا ترين أنك في غنى عن وساطة هارنوم ، أو وساطتي ، أو وساطة أي كائن ، عدا هذا الجرس ، إذا شئت التظلم الى مولانا الملك . فما هي ظلامتك !

هارنوم — تقول إنها لا تخصها بل تخص الهندوس عامة ، أو على الأصح تخص معبودها (بوذا) . هذا ما فهمته منها . كذلك فهمت أنها تحتفظ بسر ظلامتها حتى تعرضها

على جلالة الملك

مظفر خان — إن مولانا الملك يحترم تعاليم (بوذا) كما تدل على ذلك مناقشات (دار الحكمة) وقد أزال جميع الفوارق بين الهندوس والمسلمين حتى في الضرائب، ومنحت الملكية الزراعية للفلاحين ومعظمهم من أتباع (بوذا) وأبى ألاّ أن ترفع الشكاوى الى جلالته رأساً. ومبدؤه أن تحكم الهند لمصلحة الهند، وأن ترعى مصلحة الشعب أولاً وأخيراً باعتبار أن الحكومة أداة لمعيشة الشعب فحسب. وبوصفي مدير بيت المال أعرف كل هذا معرفة اليقين. فهل لا تزال في ضميرك شكوى بعد هذا البيان؟

إندرا — (في حزم) أجل، يا سيدي. إن بنفسي شكوى خطيرة زادها هذا البيان اشتعالاً، كما زادني طاقة على احتمالها. ولا بدّ لي من دفعها للملك!

مظفر خان — كما تشائين يا بنيتي، ولك أن تستصحبي هارنوم إن أردت.

إندرا — لست بحاجة إلى هارنوم الآن!

مظفر خان إذن أشير عليك بالانتظار برهة فان بحضرة جلالته الفيلسوف العالم أبا الفضل رئيس (بيت الحكمة)، وكذلك الشاعر الكبير فيظي، وهذا وقت راحة لجلالته بعد انكبابه طول النهار على العمل لخير الشعب وحده، على الرغم من كثرة وزرائه.

اندرا — سأنتظر، فالانتظار صديق الانسان إذا لم يعقبه التخدير فالموت. وسأترك لك يا سيدي تحديد «برهة» الانتظار.

نعم سأنتظر، فقد عاش قومي على الانتظار!

(انتهى المنظر الثاني ويتبعه المنظر الثالث)

المنظر الثالث

في بهو الاستقبال بالقصر الملكي وقد وقف الشاعر فيظي ينشد بين يدي الملك قصيدة وجلس بجانبه الفيلسوف أبو الفضل

الشاعر فيظي — قد ملكت القلوب بالعدل فينا ... أين هذا من حكم مات وجان

(متابعاً انشاده) «والمساواة» لم تكن قبل إلاّ ... نزوة، فاغتدت حلى الأديان

رضى الله والنبيون جمعاً ... كرضى العلم والحجا والبيان

ما نشيدي حين الطبيعة فاضتْ بالمعاني وعبّرتْ عن جناني؟
حين روح السلام والحب شكرا ن حيٌّ ، وخالد في الزمان ؟

(يسمع قرع ناقوس ، فيتوقف الشاعر عن الانشاد)

الملك أكبر — اسمح يا (أبا الفضل) للشاكي بالمثول ، ولو أن الوقت ليل .

أبو الفضل — سمعاً وطاعة يا مولاي . كدت أقول لأخي فيظي : « أحسنت وقصرت في آن » ، وها هي سماحتك يا مولاي تؤيد حكمي ، فقد جددت عهد الفاروق كما استوحيت روح الرسول الكريم .

(يتجه أبو الفضل الى باب البهو لتبين الشاكي)

الملك أكبر — أحسنت بفنك يا (فيظي) ، ويا ليتني أنجح في تحقيق ما نصبو إليه فاستحق حينئذ ثناءك . سنستمع الى قصيدتك كاملة في (دار الحكمة) حيث يوجد ملوك الفن والكلام ، وحيث أكون من رعاياهم .

الشاعر فيظي — عفواً يا مولاي ، وان يكن تواضعك حلية تاجك الوضاء !

أبو الفضل — هذه فتاة تلتمس يا مولاي المثول بين يديك !

الملك أكبر — تقدمي يا بنيَّة !

(تتقدم اندبرا نحو الملك واجفة ، ويسمع صوت تجريد مديتها)

أبو الفضل وفيظي — (صارخين ، هاجين عليها) — أمجنونة أنت !

الملك أكبر — دعاها تطعني إذا شاءت ، فاني لأرتضي أن أكون قرباناً لبنات جنسها بعد أن حررتهنّ لأول مرة في التاريخ !

اندبرا — لن أمس الملك الصالح العادل بسوء ، وإنما أضع هذه المدية عند قدمه وأقبله رمزاً لتكفيري وايماني . . . وإني حينما أضع هذه المدية أضحى بأغلى شيء لنفسي وهو الحب وأحكم على نفسي بالفناء .

الملك أكبر — انهضي يا بنيتي ! فقد حكمت لنفسك بالحياة ، وحكمت لأمتك بالخلود . إني لن أسألك أي سؤال ، وأحمد الله على أن المرأة في أمتي هي رسولة الايمان بعد الكفران ، والأمينة على الاصلاح والحرية . (انهضي يا بنيتي انهضي) !

[تحت الدراعة]

الطائر الطليق

دراما تاريخية في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

أشخاص الدرامة

ابن سينا الفيلسوف	محمد بن عطاء — الشاعر
أبو عبد الله المعصومي — تلميذ ابن سينا	بثينة — إحدى معشوقاته

شرطيان

المنظر الاول

(في الطريق العام ـ يسمع وقع اقدام شرطيين في منتصف النهار)

الشرطي الاول — هـذه مشكلة يا زميلي . . . لقد انتصف النهار اوكاد ، وها نحن قد أبنا بخفي حنين ، فماذا نقول للأمير ؟

الشرطي الثانى — إن الدار خاوية ، وخلوها يدل على مؤامرة مبيتة لاختفائه واختفاء خادمه معاً .

الشرطي الأول — صدقت فاني لم أهتد الى سكن خادمه أيضاً .

الشرطى الثاني — والأعجب من هـذا أنه لا يوجد دليل على هروبهما من المدينة ، كما لا يوجد أي دليل على بقائهما ، فكأنهما لم يخلقا !

الشرطى الأول — أمّا أعجب الأعجب في رأيي فهو أن يشغل مولانا الأمير إلى هذا الحد بهؤلاء المجانين الذين يسمونهم « الفلاسفة » !

الشرطي الثاني — أنظر يا صاحبي ! لعلنا أمام معجزة ؟ أليس هذا ابن سينا وخادمه متجهين إلينا ؟

الشرطي الأول — أشرطي ومخمور ؟ ألا ترى يا صاح أن هـذين رجل وامرأة — والرجل أبعد ما يكون صورة من ابن سينا ؟ ثم ألا تراهما كأنهما يتشاجران ؟ فهل هذا

شأن من يريد التخفي والهروب ؟ أم تظن هذا طرازاً جديداً من التصنع للتعمية ؟!

(تسمع أقدام محمد بن عطاء وبثينة قادمين وهي تخاطبه محتدة)

بثينة — من هـذه « الورقاء » يا خائن ؟ هلمّ معي إلى الرئيس ليؤدبك ، وإلاّ أدبتك أنا !

الشرطي الأول — ماذا جرى يا امرأة ؟ ومن هو الرئيس الذي تتحدثين عنه ؟

بثينة — إني أشكو محمد بن عطاء خطيبي الخائن ، وسأقوده رغم أنفه إلى دار أستاذه ابن سينا .

الشرطيان (معاً في دهشة) — ابن سينا ؟ ! وأين هو ؟

بثينة — في داره طبعاً . فهل طارت الدار ؟

الشرطي الأول — بل طار هو !

بثينة — لماذا تسألان ؟

الشرطي الأول — مولانا الأمير يطلبه وقد عجزنا عن الاهتداء إليه . . . يخيل إليّ أن عليك البحث عن ابن سينا آخر ليكون قاضي الغرام (يقهقه وزميله)

الشرطي الثاني — أشك في توفيقها إلى ثان له ، فهو حقّاً الرئيس في هذا النوع من الفلسفة . . . هو قاضي الغرام ، وأستاذ الغرام ، وآكل الغرام وشاربه ! (يقهقه وزميله)

الشرطي الأول — ولكن لماذا لا نحكم نحن ، وقد أصبحنا أو أوشكنا أن نصبح من المجربين ! (يقهقه وزميله)

مم تشكين يا إمرأة ؟

بثينة — سمعته يا سيدي يغني في الطريق :

هبطتْ إليك من المحلِ الأرفعِ ورقاء ذاتُ تدلل وتمنع !

فلما تطلعته وجدته يغازل فتاة كانت تطل من نافذة . ولما كشفت عبثه ، حاول التخلص منه ، مدعياً أنه إنما كان يمجد الله سبحانه وتعالى . . . . .

الشرطيان (مقاطعين) ها ! ها ! ها !

بثينة — وأن « الورقاء » ما هي الا النفس ، وأن هـذا هو الرمز الذي استعمله أستاذه ابن سينا ، ويظهر أنه خليع مثله يلعب بالألفاظ كما يلعب بالعذارى . . . .

الشرطيان (مقاطعين) — ها . ها . ها .

الشرطي الأول — عليك يا امرأة أن تمسكي بتلابيبه ، وإلاّ طار منك إلى عزيزته « الورقاء » كما طار ابن سينا رضي الله عنه . . . . . (يقهقه الشرطيان)

ابن عطاء — هل للمخرس أن ينطق باذنكم الآن ؟ (يقهقه الشرطيان)

الشرطي الأول — ورقاء ذات تدلل . . . . هبطت إليك ! (يقهقه الشرطيان)

المنظر الثاني

(بعد الغروب في قاعة التدريس بدار أبي عبد الله المعصومي وقد اجتمع صفوة من طلبته تلبية لدعوته ، وقبيل وقت الدرس دخل ابن عطاء وبثينة).

ابن عطاء (مخاطباً أستاذه المعصومي) — لقد اصررت على الحضور يا سيدي ، واني لضمين لها ، فكن مطمئناً ولا تغضب عليّ . . . . اجل ، اني لضمين لها . . . . .

المعصومي — هل قدرت غاية هذا الاجتماع ؟

ابن عطاء — اجل يا سيدي ، وهي اهل لكل ثقة بها ، ما دمت اهلاً لثقتكم بي وبعد ، فأنت من قال الرئيس عنه : « مني بمنزلة أرسطو من أفلاطن » فدعنا نغترف من علمك ونصحك وإرشادك .

المعصومي — حسناً ! اجلسا في ناحية مع اخوانكما .

(يسمع صوت جلوسهما)

ابن عطاء — شكراً لكرمك يا سيدي .

(ثم مخاطباً بثينة في همس) — ستسمعين بعد لحظة حديث أستاذنا العلامة ، وستعرفين أنك كنت على ضلال في مزاعمك عني وعن الرئيس .

بثينة (هامسة) — سنرى . ومع ذلك فغناؤك للورقاء لم يبارح أذني !

ابن عطاء (هامساً) — كرهت إليّ والله الغناء والورقاء ، وأخشى أن تكرهي إلي الفلسفة إن لم ترجعي عن هذا الغي . والآن صمتاً ، فها هو الأستاذ موشك أن يتحدث .

المعصومي (مخاطباً الحاضرين) — السلام عليكم ورحمة الله — أما بعد ، فقد دعوتكم لسماع خطابي عن الرئيس في مناسبة خطيرة ستعرفونها وأنتم صفوة تلاميذه وأحبابه والمؤتمنون على أسراره . ومن هو الشيخ الرئيس ابن سينا ؟ أأنتم بحاجة الى تعريف ؟ كلاً ثم كلاً ، ولكني أذكّر فالذكرى تنفع المؤمنين .

إن الشيخ الرئيس هو أوحدي عصرنا بل جميع العصور ، فلا عجب إذا بذل الأمراء ما بذلوه لاجتذابه إليهم ، ولا عجب أيضاً اذا هو نفر منهم وقرر الفرار من كركانج .

أصوات (في دهشة) — الفرار ؟ !

المعصومي — نعم الفرار . فان اضطهاد رجال الفكر والفلسفة هو الشائع في هـذا الأوان وما هم جميعاً الا تلاميذ الرئيس ، فالاساءة اليهم اساءة إليه :

ولا يقيمُ على ضيمٍ يرادُ به إلاّ الأذلان : غير الحيّ والوتد !

والحفاوة الظاهرة لا قيمة لها إذا كان يستتر خلفها الاضطهاد الفكري . ولو عرفنا قيم الرجال لخبأنا الرئيس في عيوننا .

أين سواه ذلك العبقري الذي أتمّ دراسة اللغة والأدب وهو في سن العاشرة ؟ . وأين غيره الذي ألم بكل معارف عصرنا هذا الالمام المجيب ، وتبحّر هذا التبحر الفذ في الأدبين العربي والفارسي فأتحف العربية بهذا الشعر العـامر كما أتحف الفارسية برباعياته الشائقة ؟ أين سواه من علم نفسه بنفسه الطب كما صنع الرئيس ثم أظهر هـذه الألمعية الفذة في العلاج وفي التأليف حتى صار « قانونه » المرجع الطبي الأعلى في جميع الأقطار ؟ أين ذلك الفيلسوف الذي أخرج من التصانيف أمثال « الشفاء » و « الاشارات » و « النجاة » التي حلّت محل كتب أرسطو ؟ أين ذلك المتصوف الذي أبدع مثل ما أبدع الرئيس من الآراء في النفس والالهيات والعقل وفي تعليقاته على كتاب النفس لأرسطو ؟ إن الشيخ الرئيس هو أول من خالف القدماء الذين كانوا يعتمدون على المنطق وحده في البرهنة على لامادية النفس ومباينتها للجسم ، وهو أول من لجأ الى التجربة النفسية فقال فيما قال : « لنتصور انساناً خلق محجوب البصر لا يرى من اهابه شيئاً ، متباعد الأطراف لا يلمس جزء من جسمه جزءاً آخر ، يهوي في خلاء لا يصدمه فيـه قوام الهواء حتى لا يحس ولا يسمع ، أليس يغفل مثل هـذا الانسان عن جملة بدنه ؟ أليس يشعر بشيء واحد فقط هو ثبوت نفسه ؟ « فالنفس اذن موجودة وجوداً غير بدني » .

أين من فكّر غيره ذلك التفكير الصافي في تحديد صلة « الوجود » بماهيات الأشياء ، فرأى أن هناك من الأشياء ما لا يؤخذ في حده معنى الوجود ، كالمثلث مثلاً ، فانا نتمثله خطاً وسطحاً ولا نتمثله موجوداً ؟ مثل هذا الشيء وجوده زائد على ماهيته ، عارض عليها ، وهو يحتاج في وجوده الى علة . أين سواه من خالف أرسطو في رأيه أن العالم قديم قدم الله وهو ما لا يتفق ونزعة المسلم الى التوحيد — فجعل شيخنا الرئيس الله سبحانه وتعالى متقدماً على أفعاله القديمة « بالذات » لا بالزمان ، والزمان نفسه — مع أنه قديم — مخلوق أيضاً ، تقدمه الواجب بالذات لا بزمان آخر . وقد فاض العالم عن الله بمحض ارادته ، لا عن حاجة الى ذلك ؟ وإله أرسطو لا يعقل . الا ذاته ، وهو مشغول بها عما عداها . وأما شيخنا فيؤمن ويبشر بأن الله جلت عظمته لا يعقل ذاته فقط ، بل يعقل الماهية الكلية كما يدرك الجزئيات ، ولكن من حيث هي كلية فلا يعزب عنه مثقال ذرة . ويرجع ادراكه للجزئيات الى علمه بعللها ومباديها ، كما يرجع ادراك الفلكي كل كسوف جزئي الى علمه بالحركات السماوية علماً كلياً . ثم تأملوا فلسفة التفاؤل الجميلة لشيخنا الرئيس ؟ انه يرى ان عناية الله تحيط بكل شيء . وهو يعرّف العناية بقوله « انها إحاطة علم الأول بالكل ، وبالواجب أن يكون عليه الكل حتى يكون على أحسن نظام . فعلم الأول بكيفية الصواب في ترتيب وجود الكل منبع لفيضان الخير في الكل » . وهو يرى أن عالمنا يغلب خيره ، على شره ، والشر الطفيف المحدود محصور في الأشخاص دون الأنواع ، ولا يصيبهم دائماً بل أحياناً ، فعالمنا أفضل العوالم المسكنة .

أيها الاخوان — لا أريد أن أكون أنانياً مستأثراً بوقتكم ، فمن رغب منكم في أن يتحدث في هذه المناسبة الخطيرة عن مآثر شيخنا العالية فإني أرحب برغبته . وبعد صلاة العشاء سأختار أحدكم ليصحب شيخنا الرئيس في سفره ، حتى يدرأ الأذى عنه .

ابن عطاء — ليس لي من تعقيب يا سيدي سوى الشكر الذي يسهم فيه زملائي جميعاً ، لحفاوتك بمجد أستاذنا الفكري وسهرك على سلامته من مكر السلطان وبطشه لها القدوة لنا ، ولكن ثق بأننا في الوفاء أنداد . وعلى ذلك فلا تفكر في الاختيار ، فكلنا سواء في حب خدمته وافتدائه ، وأينا قادر على ذلك .

صدقت يا سيدي ولم تبالغ مطلقاً في تنويهك بقدره العظيم . وحسبي أن أقول إن الأجيال اللاحقة ستسخر من زمننا الذي يرغم فيه شيخنا الرئيس على الفرار من وجه الطغاة . وأين أين المصنف الموسوعي مثله ، والجهبذ الفحل الذي احتفظ لشخصيته

واستقلاله كما احتفظ شيخنا الرئيس على الرغم من أعاصير السياسة وتقلباتها ؟ وأين من بزه بل حاكاه جلداً في البحث والدراسة العلمية والفلسفية حتى لم يفته علم تشريح الانسان ؟ وأين من أرضى العلم والاسلام قبله بمثل تعليله نشوء الأكوان المختلفة التي لم يعتبرها صادرة عن الله مباشرة ، إذ أن الوحدة الحقّية لا تصدر عنها إلاّ وحدة ، وانما اعتبر مصدرها معركة الدوائر الناجمة عن الدائرة الأولى التي تحيط بالكائن الفرد ؟ أين أين من له هذا العقل الجبار النير الذي يبهر العقول بتسلسل تفكيره الملهم ، فاذا ما نادى بأزلية الوجود نبّهنا الى أن هذه الأزلية تختلف عن أزلية الله بأن لها سبباً خاصاً وقائماً بها ، وهذا السبب لا يقع في الزمان ، أما الله فأزلي الوجود بذاته ؟ وأين أين من يملك ذهنه وضع أمثال هذه التصانيف التي لا حصر لها في الطب والمنطق والطبيعيات وما وراء الطبيعة وفي حكمه الاشراقية ونظراته وتفاسيره الشرعية وفي علوم ومعارف لا تستقصى ؟.
إننا نشكرك من أعماق قلوبنا يا سيدي ، وننتظر إشارتك !

المعصومي — إن الرئيس متوار في كوخ مهجور متهدم بجوار ناعورة الورّاق بطرف البلدة . أما « الرفيق » فإني متنازل عن حق اختياره ثقة مني بكم جميعاً ، فلتختاروه أنتم من بينكم . وأما كلمة السر فهي كلمة الحق أيضاً ، هي « الله أكبر » .

أصوات — الله أكبر !

المنظر الثالث

(بعد العشاء في كوخ مهجور متهدم بجوار ناعورة الوراق بطرف كركانج ، وقد توارى فيه الشيخ الرئيس ابن سينا ، ومعه بعض متاعه) .

بثينة — (في صوت منخفض وقد اقتربت من باب الكوخ) — الله أكبر !

ابن سينا — (في صوت منخفض كذلك) — الله أكبر . انتظر قليلاً أيها الصديق . هل الطريق مأمونة ؟

بثينة — (خافضة صوتها) — نعم يا سيدي ، وان وجب علينا الحذر ، كما يجب علينا الاسراع فالشرطة جادون في البحث عنك .

(يخرج ابن سينا من الكوخ ومعه خرج فيه متاعه)

ابن سينا — (دهشاً) — امرأة .

بثينة — أجل يا سيدي . لقد اختارني حواريوك لصحبتك بعد أن أقنعتهم بحكمة هذا المسلك .

ابن سينا — ولكن هذه مجازفة كبيرة وتعرض منك للخطر .

بثينة — لا تصغرني يا سيدي بعد أن آمنت بك . وأنت بعقلك الكبير من يأبى تمييز الرجل على المرأة اذا ساوته عقلاً وكتابة .

ابن سينا — أحمد الله على أن تعاليمي خلقت مثل هـذه الثمرة ، ولو انني الليلة هارب طريد .

بثينة — سأرافقك يا سيدي كأختك ، وبذلك أدرأ عنك الشبهات . فهلمّ نبدأ رحلتنا .

(يبدآن بالسير فيسمعان لغطاً مقبلا عليهما)

بثينة — (خافضة صوتها) هلم نختبىء في هذا الحقل حتى يبتعد هذان القادمان .

(يختبآن بينما يقبل شرطيان ويستمران في سيرهما متحدثين)

الشرطي الأول ـ لعلك اقتنعت بعد كل هذا البحث والسؤال والتنقيب بأن ابن سينا لا يزال في كركانج ، ولا ادري لماذا كل هذا الاهتمام به وهو علم الناس انزال « الورقاء » من المحل الأرفع ؟ (يبتعد الصوت تدريجياً)

ها . ها . ها . ها . ها ، ها .

الشرطي الثاني — لعلنا حينما نرجع نجد « الورقاء » الأخرى لا تزال ماسكة بتلابيب صاحبها حتى يثوب عن « ورقاء المحل الأرفع » !

الشرطيان — (يقهقهان معاً وهما آخذان في الابتعاد) : —

ها . ها . ها . ها . ها . ها .

[انتهت الدرامة]

حارس البستان

درامة في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

أشخاص الدرامة

سيف الدولة	الشيخ حرقوش } ضريران مرتزقان
الفارابي	الشيخ صعتر
الشيخ مجاهد صاحب البستان	قينة

المنظر الأول

(بستان فاكهة في ضاحية لمدينة حلب بعهد سيف الدولة في القرن العاشر الميلادي ، والوقت غروب ، الحديث يبدأ بين ضريرين مرتزقين لاجئين الى البستان) .

الشيخ صعتر (ضرير مرتزق) — إحم . إحم . ما الذي تلوكه يا أستاذ ؟ ألم تعدني باطلاعي مقدماً على مشروعاتك ؟

الشيخ حرقوش (ضرير مرتزق) — إحم . — هذا يا ولدي فستق ، لا يصلح لك !

صعتر — فستق . وهل نسيت أنه مكروه للمسنين مثلك ؟ ثم هل نسيت أننا اتفقنا أمام الشيخ مجاهد صاحب البستان على الصراحة والتعاون ! ألا تخاف على بقية أسنانك وأنت شيخ مسن ! ألا .

حرقوش (مقاطعاً) — « مسن » أتكررها يا صعتر ولا تستحي وأنا ابن السبعين ؟

صعتر — (مقاطعاً) السبعين ؟ ألم تقل أمس الثمانين ؟ من يدريني وأنا كفيف انك لم تتجاوز المائة ، ومع ذلك تستحل نهب الفستق ؟ هذا فجور يا حرقوش ؟ هذا.

حرقوش — (مقاطعاً) فجور ! أكل الفستق وطيبات الله فجور !

صعتر — لا تؤاخذني فإني خائف عليك أكثر من خوفي على نصيبي . ألم تسمع عن كتاب (إيثار البندق على الفستق) لوليّ الله . لوليّ الله نسيت اسمه ! والمهم منه تحريم الفستق على الشيوخ لضرره البالغ بهضمهم .

حرقوش — سمعت عنه يا ولدي ، لأني أنا مؤلفه فقد أمليته في صباي .

صمتر — مؤلفه

حرقوش — نعم يا ولدي . هذه إحدى زلات الشباب كالغزل والنسيب ، لأني كنت ومازلت جدّ مولع بالفستق فخشيت منافسة الشيوخ حينئذ . أما الآن فأود إملاء كتاب آخر بعد تجاربي الطويلة التي أقنعتني بأن ضرره للهضم يصيب من دون السبعين من الفتيان والأطفال .

صمتر — وما هو حدّ الطفولة عندك ؟

حرقوش — إحم . . بالنسبة للفستق الى الخامسة والأربعين ، وبالنسبة للاجاص الى الاربعين ، وبالنسبة الى التوت . (يسمع لغط متحدثين مقبلين)

صمتر (مقاطعاً) صه . فلسنا وحدنا . أتريد فضيحتنا من أجل فستق واجاص وتوت ؟ . ألا تستحي أيها المتصابي من عهد نوح ؟ .

حرقوش — متصاب ؟ نوح ؟ أجننت من أكل التفاح يا ولد ؟ . أجننت .

(تقترب الاصوات ووقع الاقدام)

صمتر — اخرس ، وهلمّ نتوار خلف هذه الشجيرات المتشابكة بعيدين عن الطريق (مخفضا صوته) حتى نسمع ولا نرى . فربما كان هناك لبأ يهمنا . اسمع يا حرقوش .

(يسمع المتكلمان المقتربان بجلاء)

الفارابي — أيرضيك هذا التفسير يا صاحبي ؟

مجاهد — اجل يا سيدي ، وقد وجدت كتابك (آراء اهل المدينة الفاضلة) كله خيراً وبركة .

الفارابي — بارك الله فيك يا بني .

مجاهد — اني مدين لك يا معلم بتوجيهك تفكيري القاصر الى النظر في الله نفسه ، خلافاً للكندي الذي كان يقصر التفاتنا على الاهتمام بآثار الله فحسب . وقد اطمأن قلبي إلى قولك إنه لا شك في رجوع النفس الى الله ، وأن هناك أيضاً ترقيّاً في المراتب إذ أن النفوس الانسانيـة تنزع إلى الفناء في العقل الذي فوقها ، وكذلك نفوس الأفلاك الاخرى حينما تتقرب الى الله . وما أجمل تعليمك بأن النفس الانسانيـة إذا صعدت إلى

العالم العلوي رأت أن هذه الحياة هي عين الحياة الأخرى لأن الله في كل شيء وهو الكل في وحدته ! (يأخذان في الابتعاد) أجل . قرت نفسي واطمأنت .

صعتر - أسمعت يا حرقوش ؟ تب الى الله وارجع الى الحق. ودعك من اغتيال نصيبي.

حرقوش — لا أعرف إذا كانا يتكلمان بالتركية أم بالرومية . وها أنذا راجع الى ما أفهمه وحده . إني راجع الى الفس . . تق

المنظر الثاني

(في قصر سيف الدولة بحلب ، حيث اجتمعت زمرة من الادباء وأهل الغناء والموسيقى والشعراء والمفكرين بينهم أبو نصر الفارابي ، والوقت أصيل في اليوم التالي للمنظر الاول) .

سيف الدولة — ماذا أعددت للغناء يا قينة ؟

القينة - اعددت يا مولاي قول الشاعر:

يا جرةً لم تزلْ بطيفةً في الغمامْ
ملهوفةً للقبلْ سعيدةً في الأوامْ
السحب نارٌ لها ما خطبها ؟
لم أسمعْ قولها ما حبها ؟
ما عشقها الباقي طول الحياه ؟
ما نورها الساقي كل الشفاهْ ؟

سيف الدولة - لعل شاعرنا يرمز بهذا الى «النفس». وهذا يشوقني الى محادثة أبي نصر.

الفارابي — هذا شرف لي يا مولاي .

سيف الدولة — أول صفة لله في نظر المتكلمين والطبيعيين هي أنه صانع حكيم ، فما هو الأساس عندك يا زعيم فلاسفة المنطق ؟

الفارابي — إن الله هو الموجود الواجب الوجود ؟ (أصوات استحسان من المجلس)

سيف الدولة — حسن. فاذا يدلك عليه، بحثك أو تفكيرك في العلة الأولى؟

الفارابي — إن العالم يا مولاي مظهر لإله حكيم عادل ، واحد في ذاته وصفاته ، مبدع ، بمعنى أنه علة لوجود الأشياء ، فهو يعطيها الوجود الأبدي ويدفع عنها العدم الأبدي ؟ أما تأثر الجزئيات بعد ذلك فهو ينشأ من فعل طبيعي ، يفعل بعضها في البعض

الآخر ، وذلك وفقاً لقوانين نعرفها من التجربة . وتأثير العلة الأولى في الكون إنما هو تأثير واتصال كلي عام لا جزئي ، من حيث ما يجب أن يكون عليه من نظام وما له من غاية ، هذا التأثير العام خير لا شر فيه ، لأن طبيعة العقول الثلاثة الأولى خير لا شر فيها . فالموجودات سلسلة متدرجة متصلة يسودها الخير المطلق ، واذا كان هناك من شيء فرده الى الجزئيات المتناهية المحددة القوى . (أصوات استحسان من المجلس)

سيف الدولة — هذا بديع يا أبا نصر ، فما رأيك في المعرفة الانسانية ؟

الفارابي — رأيي أن المعرفة الانسانية لا يحصلها الانسان باجتهاده ، بل هي تتجلى على الانسان في صورة هبة من العقل الفعّال الذي على ضوئه وضوء صوره المفارقة — لا على ضوء ادراك صور الأجسام بوساطة الحواس — يستطيع عقلنا إدراك الصور الكلية للأجسام السابقة على رؤية الأشياء المادية المحسوسة وادراكها ، ولهذا كان الاحساس معرفة عقلية ، وكل مادي محسوس ليس مرده الى القوة المتخيلة والوجود الحقيقي ، بل مرده الى العقل وما يصوّره .

سيف الدولة — بديع . بديع . فما رأيك في الوزارة يا أبا نصر ؟

(ضجة من المجلس « الوزارة »)

الفارابي — هذه يا مولاي لا يفهمها عقلي القاصر المحصور في التأملات الفلسفية والأدب واللغة والموسيقى وما اليها . إن الوزارة لجوهر تعجز يدي عن لمسه ، وذهني عن ادراكه ، واجلالي مولاي عن قبوله . فأنا الآن فكرة جائلة ، وخيال شرود ، وتأمل واثب ، ولحن ما له قرار . والوزارة هي نقيض كل هذه الخيالات والأوهام يا مولاي .

(ضجة عجب من المجلس)

سيف الدولة — سأدعك تفكر بضعة أيام يا أبا نصر . أما الآن فبودي أن تخص بالتكريم . لقد أسمعتنا قبلاً من موسيقاك المفرحة ما أطربنا أي اطراب فضحكنا وضحكنا ، وأسمعتنا من الموسيقى المشجية ما أبكانا ، فهل لك الآن في معجزة أخرى تفاجئنا بها ؟

الفارابي — هذه أذن الرضى يا مولاي .

(تعزف موسيقى عذبة منومة ، فينام جميع من في المجلس ويسمع شخير أحدهم)

الفارابي — (ساخراً) هـذا بلا ريب أحق الناس بالوزارة . والآن يمكنني أن أنقذ أغلا ما يملكه انسان . يمكنني أن أفر بنفسي !

المنظر الثالث

(في بستان الشيخ مجاهد خارج حلب حيث كان المشهد الاول منذ يومين أما الوقت فغروب).

الشيخ صعتر — يا سلام يا شيخ حرقوش ! إن عقلي طار أو كاد ! بينما كنت تصلى سمعت الشيخ مجاهد يحدّث ذلك الرجل العجيب الذي جاء للبستان منذ يومين ، ويسميه بكل إجلال « الفار » أو « الفارة » ؟

الشيخ حرقوش — « الفار » ؟ « الفارة » ؟

صعتر — إي والله يا زميلي ! والأعجب أنهما كانا يتكلمان كلاماً مبهماً أعجب مما سمعناه معاً ، وكله أحاج وألغاز . وعلى الرغم من ذاكرتي الجبارة التي تمتدحها فإنها لم تستطع أن تعي أكثر من جملة أو جملتين . قال ذلك الرجل العجيب : « إن الأشياء تصدر عنه لكونه عالماً بذاته ، ولأنه هو مبدأ النظام الخير في الوجود على ما يجب أن يكون عليه . فإذن علمه علة لوجود الشيء الذي يعلمه ، وليست قدرته وإرادته » .

حرقوش — يا شيخ صعتر ! أحمد الله على حسن تفاهمنا بعد ما جرى منذ ليلتين ، فلا تفسده يا صاحبي بهذه المخزعبلات ! اتفقنا على تقسيم الفاكهة واختصاصي بالفستق ، فما معنى السخرية بي الآن وخلق نفور جديد ؟

صعتر — « نفور » يا شيخ حرقوش ، وليس بيننا الآن الا كل احترام ، ألم تقل إنك مؤلف كتاب (إيثار البندق على الفستق) .

حرقوش — وما شأن البندق والفستق بما قلته من الكلام السرياني ؟

صعتر — « سرياني » يا شيخ حرقوش ، هذا كلام عربي فصيح حسبت أنك كمؤلف أديب تستطيع حلّ رموزه . وما دمت تحسبه سريانياً فاسمع العربي الأفصح . فان الشيخ مجاهد قال بصراحة لهذا « الفار » .

حرقوش — أي « فأر » يا شيخ صعتر .

صعتر — يظهر أنك يا شيخ حرقوش في غير وعيك ، كل هذا الوقت وأنا أحدثك عن « الفأر » العجيب الذي يظهر أنه من خوارق الله سبحانه وتعالى والآن تسألني :أي فأر.

حرقوش — لا حول ولا قوة إلاّ بالله ، هذا ما كنت أخشاه . ألم أنصحك

بالتخفيف من أكل الاجاص ، ألم أقل لك إنه أنسب لي مثل الفستق تماماً .

صعتر — أي أجاص وفستق يا شيخ حرقوش ، حلمك واستمع الى مصيبتنا الكبيرة .

حرقوش — أي مصيبة ، لقد فقدتك والله ، رحمة الله عليك يا صعتر .

صعتر — اسمع ولاتقاطعني ، فالشيخ مجاهد اشتكى الى هذا « الفأر » الكبير الذي يعظمه من الاغارة على محصول الفاكهة واتهم .

حرقوش (مقاطعاً) — يا خبر أسود ، اتهمنا .

صعتر — نعم يا خبر أسود ، اتهم على ما أظن جماعات الفيران بالاغارة على محصول الفاكهة ، واستنتجت منه إنه قال له إنه يعتمدعليه كشيخ الفئران في رد غارتها،وأنه ...

حرقوش (مقاطعا) — قلت لك إنك جننت،فلا حول ولا . (يسمع وقع أقدام مقتربة)

صعتر (مقاطعاً في صوت منخفض) —هلمّ نتوار . ستسمع بأذنك . لقد سأله الفأر عنا ، ولكن الشيخ مجاهد أنكر أن تكون لنا صلة بهذه الاغارة على فاكهة البستان . وشهد لنا بأننا من أولياء الله الصالحين ، وأنه يزوّدنا بالكفاية من جيد الطعام كما نشتهى ، وأننا لو كنا حتى من فصيلة الثيران أو من البغال والحمير لكان من المستحيل أن نبتلع كل هذه الفاكهة .

حرقوش (في صوت منخفض) — وهل سمعت يا مغفل أن فئراناً تغير على بستان كما أغرنا نحن ، صه ، ها هما مقتربان .

مجاهد — هذا لا يليق يا معلمى ، فقد حضر منذ ساعة رسل الأمير يبحثون عنك لأن امرك يهمه وهو يحبك ويجلك ويقدر مواهبك العالية اعظم تقدير ، ولا بدّ انهم سيعودون الليلة او غداً ، لأنهم يفتشون عنك في كل مكان اعتدت ان تتردد عليه . فماذا يقال للناس ، ايقال لهم إن ابا نصر الفارابي فيلسوف زمنه وامام الموسيقى هرب من الوزارة طالباً ان يعمل ناطوراً في بستان كهذا .

الفارابي — هذا فضل كبير منك يا اخى لو سمحت به لاتفرغ لعبادة الله ، متأملاً فى ذاته العلية ، كما يتأمل كل ناطور.

(قطعة موسيقية ملائمة في النهاية مشعرة بفرحة الطبيعة)

غزوة الجزيرة

درامة في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

أشخاص الدرامة

موسى بن نصير ، الفاتح العربي
لذريق ، ملك القوط
جوليان ، حاكم سبتة
فلوريندة ، بنت جوليان

فاضل بن مسروق } خادما موسى بن نصير
عامر بن مشنوق }
طريف بن مالك ، القائد
حاجب لذريق

جندي

المنظر الأول

(في قصر جوليان صاحب سبتة مساء يوم ربيعي من السنة الحادية والتسعين للهجرة = ٧١٠ م.)

فاضل بن مسروق — عجيب والله . عجيب والله . عجيب .

عامر بن مشنوق (مقاطعاً) — أتسبح الله يا ابن مسروق .

فاضل — عجيب والله . عجيب والله . عجيب .

عامر — (مقاطعاً) أبك مس يا ابن عمي .

فاضل — نعم . نعم . فولانا لاحظ أو قال إن لقبي شارة الخير ، ويدعى أني أنا « ابن مسروق » جلبت له الحظ والبركة .

عامر (مقاطعاً ، متهكماً)— أنعم بك وأكرم .

فاضل — لا تتهكم يا صاحبي عليّ . فقد ذكر مولانا عنك أن لقبك يا « ابن مشنوق » فال الحياة .

(يضحكان معاً ضحكة أنفية مكبوتة)

عامر — سبحان المغير الذي لا يتغير . كنت أشعر بتشاؤم مولاي من لقي·
سبحان إذن .

فاضل (مقاطعاً) — عمرك الله . لا تتعجل الفرحة يا رفيقي .

عامر (جازعاً)— ماذا وراءك يا ابن مسروق .·

فاضل (مغيظاً)— لا تسألوا عن أشياء إن تب .

عامر (مذعورا) — يا فاضل يا ابن مسروق . حذار . حذار . أنظر يدي . سأخنقك
إن لم تفصح .

(تسمع حركة هجوم عامر على فاضل ، ضاغطا بيديه على عنقه)

فاضل (بصوت مختنق) ـ آخ . خ ّ . ستخنقني يا أحمق . انتظر — سأخبرك .

عامر (متلهفا) — تكلم اذن قبل أن تخرس الى الأبد .

فاضل (ملهوكا) — آه ـ اسمع يا ابن عمى، ما أريد لك الا ّ الخير ولم أشأ أن أفجعك .

عامر (مقاطعا ، ملهوفا) ـ تفجعني تفجعني أفصح يا أزعر قبل ان أهوي عليك بيدي .
افصح . افصح .

فاضل (خائفا ، متعثراً في كلامه) — آخ . استمع ولا تقاطع حديثي، وسأبلغك كل
شيء . آخ .

عيب يا ابن مشنوق . آخ .

(متماسكا يتحدث ببطء وضعف) ـ صدقني يا ابن عمى . ان مولانا يحسن الظن بك
ويتفاءل . ولكن . ولكن .

عامر (مقاطعا) — اسمع انت يا ابن عمى إن مولانا في الواقع لثقته البالغة بك رأي
البركة ارسالك الى ميدان القتال في...

فاضل (مذعوراً متلعثما) — القتال ل . أنا أنا . القتال ل .

عامر (مقاطعا مستردا قوته) — نعم، نعم . فاسمع ولا تقاطعني. وستتبين صداقتي الحقة لك.
إن مولانا الأمير أعزه الله ونصره رأى بثاقب تفكيره وبعد نظره أن تكون أحد الخمسمائة
المختارين لغزو جنوب الأندلس تحت إمرة طريف بن مالك !

فاضل (خائفا هائجا) — أنا يا ابن مشنوق . لعنة الله عليك . ألم تعتذر عني لمولاي بأني عليل تميتني رؤية السيف مجرداً بله القتال . ثم إن مولاي الأمير لم يحدثني عن ذلك . ومن يدريني أن هذا ليس تآمراً منك . اعترف يا خبيث . اعترف !

عامر (خائفا من هياج صاحبه) — . آخ . استمع يا غبي ما دمت تريد الحقيقة كاملة . استمع .

فاضل (قلقا) أسرع اذن بالكلام ولا تحرج صدري .

عامر — لقد استشار الأمير الخليفة فأذن له بالغزو . أما المحرّض الأول على هذا الغزو فصاحب هذا القصر جوليان .

فاضل (مقاطعا) — جوليان.

عامر — أجل جوليان . وكان لا بدّ من اختيار نخبة من الفرسان الأشاوس ، فكنت أحد المختارين بل في طليعتهم .

فاضل (دهشا)— أحد الأشاوس المختارين ! يا لله . لقد جبن العالم . أنا الذي أفرق لرؤية المهنّد ولم أعرف صهوات الجياد . أنا الذي أغمى عليّ يوم هاج جواد الأمير . أنا الذي .

(يسمع صوت أقدام وبعض اللغط مقتربين)

عامر (مقاطعا بصوت منخفض) — حاذر يامثرثر . ها هو الأمير قادم . هلمّ بنا الى غير هذا المكان فان بصحبته أحداً ، وقد نتمكن من استراق السمع .

(تقترب الاصوات)

الأمير موسى بن نصير — . نعم إني راض عنك يا جوليان ، واني مسؤول الآن عن حمايتك بعد أن صرت تابعاً لي تدفع الجزية التي ارتضيتها . ثم اني سأتولى غسل العار وسأقضي على لذريق عقاباً عادلاً لاختطافه ابنتك الحسناء وسترى فلورينده ثانية بعد أن ننتصر نهائيًا في حربنا التي أجازها أمير المؤمنين .

جوليان — شكراً ، شكراً يا مولاي . كدت أصبح كفيفاً من بكائي على فراق ابنتي المحبوبة التي أود لو افديها بنفسي . شكراً يا مولاي . وان الثأر لثاراني ، فاني صهر لأولاد غطشة الذين كان والدهم ملكاً لاسبانيا قبل لذريق فاغتصب هـذا اللعين

املاك ابيهم كما اغتصب اخيراً فلوريندة .

الأمير موسى — هدىء روعك يا جوليان . فالعدل سوف ينتصر . العدل كسول ، وأحياناً خجول ولكنه لا يفر من الميدان . سنبدأ بطليعة قليلة ، ولكن لها ما بعدها ، فكن صبوراً ، وان تكن صداقة الصبر كالصبر ، ولكنها صداقة لا تخيب حلوة العاقبة . ولقد انتقيت يا جوليان رجالي وأعددت مراكبي الى جانب مراكبك ، وجميعهم من الأبطال الأشاوس .

عامر (بصوت خافت بعيد) — يا لله . أنا من الأبطال الأشاوس .

جوليان — إنك تعمل على احقاق الحق حين تعمل يا مولاي على انقاذ شرفي . أطال الله عمرك وجملك دائماً منارة البائسين .

الأمير موسى — ستكون هذه الحملة مثالية في حسن التنسيق والاختيار . وفي البداية لم أبخل عليها حتى بتابعي فاضل الذي أومن ببسالته .

فاضل (دهشا ، بصوت منخفض بعيد) — بسالتي . أعوذ بالله .

الأمير موسى (متابعا كلامه) — اما الآن فقد استخرت الله وسأرسل في الطليعة ايضاً تابعي الآخر عامر بن مشنوق .

عامر (مذعوراً مفاجأ ، بصوت منخفض بعيد) ـ خبر اسود يا ابن مسروق .

المنظر الثاني

(في غرفة الجلوس الخاصة بقصر لذريق ملك القوط في مدينة طليطلة ، وقد جلس مساء يحادث فلوريندة ابنة جوليان) .

لذريق ـ أيظل النفور معنى لبغضك ام ترى رمز حبك المستور

انظري قلبي المناجي لقلبك تطمئني ، وتصفحي عن شعوري

فلوريندة (حانقة) ـ اي صفح ترجو وأنت الذي يجرح في الغدر ساخراً بالوجود ؟

إنما التوب وحده يشمل الصفح فتب ، فالدمار عقبى العنيد !

لذريق ـ هذا ابوك يا فلوريندة فتح ابواب سبتة للبرابرة العرب الكافرين ، ولا يبعد ان يحرضهم عليّ ، وهذا ما لا يفعله الكريم مهما تكن الدوافع ، دائساً على

الكرامة الدينية والكرامة الوطنية معاً . واذن لم اكن غاشماً في مسلكي إذ منعتك من العودة اليه . فأنت شمس في قصري ، بل في سماء طليطلة واي جدوى لك من العودة إلى جوّ الصغار والدسائس والحرب .

فلوريندة — حظي أن أعود إلى أهلي ، فما جئت الى بلاط طليطلة إلاّ متثقفة ، فلم أغنم الا تضييع شرفي والغدر بي وبأهلي . أرجعني إليهم وتب الى الله يا غادر .

لذريق (مقاطعاً) — لا أود أن أغاظ لك القول يا فلوريندة ، فلا تحرجيني .

فلوريندة — وماذا في إغلاظك القول بعد إغلاظك العمل ؟ أما العرب الذين تتهمهم بالبربرية والكفر فقد سمعت أنهم أهل إيمان وحماة أعراض . فأين أنت منهم ؟ أين أنت .

لذريق (مقاطعاً) — إخرسي يا امرأة .

فلوريندة ـ حسناً اظهر بثوبك الحقيقي . إظهر بثوب الأرقم .

(يسمع صوت بوق منذر)

لذريق ـ رباه ما هذا .(يسمع وقع أقدام مقبلة) إنك لشؤم عليّ . ومع ذلك أظل متعلقاً بك .

(يدخل حاجب لذريق)

الحاجب ـ عفواً يا مولاي . بالباب رسول يقول إن العرب أغاروا على منطقة « الجزيرة » ودحروا حاميتها .

لذريق (مذعوراً) ـ يا رباه.

المنظر الثالث

(على ربوة في منطقة « الجزيرة » بطرف الاندلس ، وقد انتظم الجنود العرب صباحا ومعهم الاسرى والغنائم منتظرين تحية قائدهم طريف بن مالك قبل عودتهم الى مراكبهم قافلين الى شمال افريقية) .

عامر بن مشنوق ـ لعلك مسرور الخاطر يا ابن مسروق بعد أن أطار ذلك العلج اصبعين من يدي اليسرى .

فاضل بن مسروق ـ لم تكن منهما فائدة ، وقد شال وزنك الى أسفل .

عامر ـ وكيف سأقابل الأمير بعد أن قضم العلج الآخر أذني اليسري وهو يتظاهر بأنه جريح .

فاضل ـ وما الذي سأقوله أنا لمولانا بل كيف سأقابله بهذا الجرح الغائر في رأسي وبعضة تلك المرأة المولولة البدينة لذراعي ، ولا عضة لبؤة .

عامر ـ الحق عليك يا ابن مشنوق ، إذ كان عليك أن تجندلها .

فاضل ـ لا تنس يا ابن عمي أننا كنا وما زلنا عرباً ، نحرص على أخلاقنا قبل الحرص على أعضائنا وأرواحنا .

(تسمع جلبة الجنود لقدوم قائدهم طريف بن مالك يخطبهم)

طريف بن مالك ـ السلام عليكم ورحمة الله (يرد الجنود بالتحية)

أيها الجنود . أهنئكم بنجاح هـذه الغزوة المبـاركة التي هي مقدمة لحملة كبرى ، لا ريب فيهـا ، لنصرة الحق ودين الله . وسيسر مولانا الأمير حينما يبلغه أن خسائرنا طفيفة ، ولكنه سيسر أكثر حينما يعلم أننا بسبب قلة عددنا ووعورة المنطقة كدنا نطوق ويلقى بنا إلى البحر ، لولا البسالة الخارقة ، والتصرف الحازم العجيب ، والقدوة الحسنة التى قام بهـا بطل منكم كان يحارب يمنة ويسرة كالمارد الجبّـار شاقاً الطريق لكم وكأنما نسي نفسه وهول الموقف ، وكدت أطير اليـه إشفاقاً وخوفاً على حياته . ذلك ما قام به بطلنا الأشوس الفذ عامر بن مشنوق .

(ضجة من الجنود)

أين هو (يسمع غطيطه وغطيط زميله وقد غلب عليهما الاعياء)

جندي — انه يغط في نومه اعياء يا مولاي .

طريف بن مالك — وليس بينكم إلا جندي واحد يستحق اللوم بل التعنيف الشديد .

(ضجة من الجنود)

نعم . فقد تهوّر في البسالة حتى كاد يستشهد عمداً ، وكأنما كان يعاند القدر . ذلك هو فاضل بن مسروق بطلنا الأعظم .

أين هو (يسمع الغطيط مرة أخرى)

جندي ـ انه يغط في نومه اعياء يا مولاي .

[ختام الدرامة على صوت هدير البحر وموسيقى ملائمة]

أبو دلف الخزرجي

درامة في فصل ذي ثلاثة مناظر

شخصيات الدرامة

نصر بن أحمد الأمير الساماني
أبو دلف الخزرجي
عبد الباسط ـ تابع أبي دلف

وانج كوسنج ـ حاكم كانتون (في الصين)
تشانج تشنج وو ـ رسام صيني
وانج مي لي ـ ابنة حاكم كانتون

المنظر الأول

(في ميناء كانتون على نهر سيجان قبيل الغروب في يوم من نيسان سنة ٩٤٢ م) .

عبد الباسط (خائفا)ـ تمساح ، والله . تمساح.

أبو دلف (متعجبا) ـ أين؟ أين.

عبد الباسط ـ هناك . هناك . الى اليمين .

أبو دلف ـ لا أرى شيئاً . ولم أسمع عن تماسيح في هذه المياه .

عبد الباسط (ملهوفا)ـ تأمل يا أبا دلف ! صدقني . تأمل . هناك لا هنا .

أبو دلف ـ هذا دوار البحر يا عبد الباسط .

عبد الباسط (خائفا) هذا رأسه يظهر ويختفي . وهذه يده ممسكة بعود . وها هو يرمقني بعينين ناريتين كأن بيني وبينه ثأراً !

أبو دلف ـ يا عبد الباسط . لا بدّ أنك محموم . هـذا هذيان يا صاحبي . من قال إن تمساحاً يجلس في دكان لترويع المسافرين ، التماسيح تعيش في المـاء يا صاحبي ونحن على اليابسة .

عبد الباسط ـ ها هو . ها هو . وهو يشير إليّ بالوقوف . هـذه ـ لا ريب ـ بلاد العجائب . هذا تمساح بري بلا شك .

أبو دلف ـ لا حول ولا قوة إلاّ بالله . سأسأل عن بيمارستان المدينة لأتركك فيه

حتى تثوب الى رشدك .

عبد الباسط ـ لولا عنادك يا ابا دلف لرأيته رأي العيان . انظر . انظر . ها هو يشير إليك . إنه امامك مباشرة .

ابو دلف ـ إننا لم نخط خطوة واحدة منذ تركنا المراكب وشغلتنا بهذا التمساح الخرافي . وإذا لم تقلع عن هـذا الهذيان فليس أمامي إلاّ أحد امرين : إما العودة الى المراكب او حبسك في بيمارستان .

عبد الباسط ـ بيمارستان يا ابا دلف.اهـذا جزائي لتحذيري اياك . ورأس مولانا الأمير رأيته ينظر اليك بعينين تكادان تأ كلانك . انا لا اخاف على نفسي بل خوفي عليك . فأنت تبضّ باللحم والشحم ، ولا بدّ انه بادىء بك . وقد يتخم فينصرف عني

ابو دلف ـ لا حول ولا قوة إلاّ بالله هلمّ بنا يا رجل .

عبد الباسط ـ انظر . انظر ها هو يشرئب إلينا .

ابو دلف ـ من يا مجنون .أهذا . هذا رجل مثلي ومثلك . هو صيني عجوز لا اكثر ولا اقل . فأي شبه بين وجهه ووجه التمساح . ومتى كانت للتماسيح ضفائر . ومتى كانت تتزيّا بملابس . ومتى كانت توظف في الحوانيت . لا حول ولا قوة إلاّ بالله .

ثب إلى رشدك يا عبد الباسط ولا تجعلنا اضحوكة بين اهل هـذه البلاد الغريبة التي نجهل لغتها وعاداتها . ثم اين الخرجان يا عبد الباسط .

عبدالباسط ـ(دهشا)الخرجان.

ابو دلف — نعم . الخرجان . هل فقدت متاعنا في اثناء هذرك عن التمساح .

عبدالباسط ـ(وجلا) الخرجان.اي والله لقد سرقا .

ابو دلف ـ إذن الويل لك ولي ، ففيهما كل ما نملك ، وستخيب مهمتنا ، وسنرجع بأسوأ من خفي حنين ، وإن شاء الله سوف يقطع رأسك ورأسي .

عبد الباسط(مضطربا صائحا)الخرجان يا مؤمنون . الخرجان.الخرجان

ابو دلف ـ إخرس يا أبله ولا تجمع النـاس حولنا . لا مؤمنون هنا ولا عرب ولا بد من اللجوء الى الحاكم لانقاذنا .

عبد الباسط ـ الحـاكم . الحاكم .

أبو دلف ـ أجل . الحـاكم وإلاّ أ كلنا الناس قبل التماسيح .

المنظر الثاني

للذيع : في مصر وانج كوسنج حاكم كانتون مساء ذلك اليوم وقد هرع إليه أبو دلف وتابعه عبد الباسط لاغاثتهما بعد أن فقدا متاعهما . وجلس الحاكم والى جواره ابنته وانج مي لي يستقبلان الزائرين .

المذيع : يسير أبو دلف وبصحبته عبد الباسط في الردهة متجهين الى حجرة الحاكم المفتوحة الباب أمامهما فيعثر عبد الباسط في بساط الردهة.

أبو دلف ـ (بصوت خافت) ماذا أصابك يا رجل . أمزمع فضيحتنا مرة أخرى .

عبد الباسط (بصوت خافت) ألم تر ما حدث.

أبو دلف (بصوت خافت)ـ ماذا . أتمساح آخر.

عبد الباسط (بصوت خافت)ـ ألم تر الجندي يهز قبضتي يديه معاً نحونا .

أبو دلف (بصوت خافت) ـ وماذا في ذلك .

عبد الباسط (بصوت خافت)ـ هذا والله نذير شؤم ، فهو تهديد صريح .

أبو دلف (بصوت خافت)ـ أي تهديد يا مجنون والجندي يحييك .

عبد الباسط(بصوت خافت)يحييني . سبحان الله .

أبو دلف(بصوت خافت)ـ نعم ،فهذه هي التحية الصينية ، وكان عليك أن تحييه بمثلها .

والآن صه فها نحن في حضرة الحاكم وسيدة معه ، ولتكن رابط الجأش .

(يتقدمان نحو الحاكم)

ابو دلف ـ سلام على سيدنا الحاكم .

عبد الباسط ـ سـ . سـ . سـ . سلام !

وانج كوسنج ـ وعليكما السلام .

ابو دلف (بصوت خافت مخاطبا عبد الباسط)ـ لا تفضحني يا رجل .

وانج كوسنج ـ يظهر ان زميلك متعب ، ، فاجلسا .

ابو دلف ـ حقيقة يا سيدي هو متعب ذهنيـًا .

عبد الباسط (مرتاعا بصوت خافت)ـ ذهنيـًا يا ابا دلف . اتريد إدخالي البيمارستان . اصممت على الغدر بي .

ابو دلف ـ هو متعب ذهنيًّا وقد اكون مثله ، فقد فقدنا خرجينا وفيهما كل ما نملك

وانج كوسنج — اما عن خرجيكما فهما بأمان عندي وستتسلماهما ، وقد نسيتماهما ، واما عن زيارتكما ايّانا فانّنا نرحب بها ، فماذا وراءكما .

ابو دلف ـ (شكراً يا سيدي) إني مكلف من قبل سيدي الأمير الساماني نصر بن احمد لرفع شكره على ارسال اميركم بعثته لخطبة قريبته ابنة امير بخارى .

وانج كوسنج ـ اهلاً بكم وسهلاً . دعاني اقدمكما إلى ابنتي وانج مي لي .

وانج مي لي ـ اهلا بكما . أأنتما من العرب .

ابو دلف ـ اجل يا سيدتي .

وانج مي لي ـ إن زميلك الشاب وسيم الطلعة . فهل هذا طابع شبابكم . لقد رسمكما في المرفأ احد مصورينا ومعي صورتكما هذه وقد كنتما في غفلة عنه .

عبد الباسط ـ يا سلام إحم إحم كلا يا مولاتي . إحم . إني اعدّ مثالاً نادراً وكان المرحوم والدي يقول !

ابو دلف ـ لا تؤاخذيه يا مولاتي . فانه ما يزال مصاباً ببعض الدوار .

عبد الباسط (بصوت خافت) دوار يا غيور . اجننت .

ابو دلف ـ إن أهم ما يوصف به شباب العرب فروسيتهم ، وشهامتهم ، وكرمهم ، ونحن جميعاً نؤمن بقول رسولنا الكريم « اطلبوا العلم ولو في الصين » ولذلك جئنا إليكم مستفيدين . واما زميلي فسحته مألوفة ، واصلح منها واجمل طلعة خيلنا وبقرنا .

عبد الباسط (مذهولا) ـ خيلنا وبقرنا . استغفر الله من ذنوبي . خيلنا وبقرنا . خيلنا .

المنظر الثالث

المنظر : في قصر الامير الساماني نصر بن أحمد بمدينة بخارى في شتاء يوم من سنة ٩٤٢ . وقد عاد من السفر بعد انجاز مهمته في الصين أبو دلف الخزرجي يصحبه تابعه عبد الباسط .

الأمير نصر — لا تتوقف يا أبا دلف إن قصيدتك رائعة .

أبو دلف (مكملا انشاده) ـ :

ومن كان من الأحرار يسلو سلوة الحر ولا سيما في الغربة أودى أكثر العمر
وشاهدت أعاجيباً وألواناً من الدهر فطابت بالنوى نفسي على الامساك والفطر
على أني من القوم البهاليل بني الغرّ فنحن الناس كل الناس في البر وفي البحر
أخذنا جزية الخلق من (الصين) إلى (مصر) إلى طنجة ، بل في كل أرض خيلنا تسري
إذا ضاق بنا قطر نزل عنه إلى قطر لنا الدنيا بما فيها من الاسلام والكفر
فنصطاف على الثلج ونشتو بلد التمر

الأمير نصر ـ أحسنت يا أبا دلف . هذه هي الروح العربية الوثابة التي جابت الأقطار وفتحتها مستفيدة ومفيدة ، فرفعت لواء العلم والحضارة . وهذه هي تعاليم الاسلام الحكمة التي تدعونا الى التفتيش في مناكب الأرض ، وتحثنا على الهجرة والكفاح في طلب الرزق والمتعة والسؤدد ، مع البر دائماً بالوطن الأول . فنعم اقدامكم أيها الرحالة . إنكم لتحسنون إلي صمة العرب عامة ، على غير حال القابعين الخائفين . وإني لفخور بك يا أبا دلف ، وأهنىء نفسي إذ أهنئوك بنجاح مهمتك :

أبو دلف ـ مديح مولاي من نبع يخص به فمنه أسقى رحيقي حين أسقيه
الله خصَّ به ما عز من خلق والله للنبل محييه ومبقيه .

الأمير نصر ـ والآن يا أبا دلف حدثني أكثر عن الغرائب التي رأيتها في الصين ، فحديثك شائق مفيد .

أبو دلف ـ منذ اللحظة الأولى لنزولنا إلى البر واجهنا الغرائب يا مولاي . وبينما كان عبد الباسط مشغولاً بأوهامه عن تمساح في حانوت .

الأمير نصر (مقاطعا متعجبا) ـ تمساح في حانوت .

عبد الباسط ـ اي والله يا مولاي.

أبو دلف ـ لا تحلف يا رجل .

أبو دلف (متابعا) ـ بينما كان عبد الباسط مشغولاً بأوهامه وقد أفقدنا خرجينا .

عبد الباسط (مقاطعا) ـ وجدناها يا مولاي .

أبو دلف ـ لا تقاطعني يا رجل ، وتأدب في حضرة الأمير .

عبد الباسط ـ العفو يا مولاي .

الأمير نصر ـ استمر يا أبا دلف غير مقاطع .

أبو دلف ـ بينما كان هـذا الغبي يولول على لا شيء ، مخلوع القلب لرؤية عجوز صيني في حانوت بالمرفأ ، حاسبه تمساحاً بريئاً من نوع لم تعرفه الأوائل ولا الأواخر ، كان ذلك الصبي مكلفاً من قبل الحكومة برسمنا على لوحة من الخشب لأننا غريبان ويهم الحكومة أن تتعقب كل غريب في البلاد ، محتفظة برسمه لدى الحاكم . وفي الوقت ذاته تمكن شرطي من أخذ خرجيبا بخفة عجيبة دون أن نراه حتى بفحصهما الحاكم ، ليتأكد من أننا لسنا من العيون والجواسيس . كل هـذا جرى ونحن لا ندري ، بفضل الجلبة التي أثارها عبد الباسط وكاد يضحك الناس منا .

الأمير نصر ـ ها . ها . ها . هذه قصة طريفة .

أبو دلف ـ ولم يكتف بذلك يا مولاي ، بل شاء أن يغازل بنت الحاكم لمجرد أنها جاءتنا بكلمة لطيفة . ودعينا الى الطعام فحاول أن يقلد الصينيين أكل الأرز بعودين فما أكل أرزة واحدة ، وبدل ذلك نثر الأرز في عيون الضيوف فلكمه أحدهم . ولم يكفه كل هذا فأراد أن يتنكر في زي صيني ليختفي عني ويداعب بنات كانتون ، ولكن سرعان ما كشفت أمره .

عبد الباسط ـ اتق الله يا رجل .

الأمير نصر ـ ها . ها . ها . لا ريب انه كان نعم النديم لك .

ابو دلف ـ والأدهى من كل هـذا انه سمع مني عن اولئك العيارين المستهترين والشطار المحتالين الذين يطوفون الأقاليم ويتفننون في اختراع الحيل للحصول على المال ، فتظاهر بمثل هـذه البراعة في رهط من أثرياء الصينيين ، مدعياً انه يستطيع ان يأكل بيضة كاملة بقشرتها دفعة واحدة فتستحيل إلى فروج يخرج سليماً من انفه .

الأمير نصر ـ ها . ها ها . عدنا إلى عصر المعجزات .

ابو دلف ـ ولست ادري يا مولاي كيف توهم ان حيلته يمكن ان تنطلي على اولئك القوم . ولكني ادركته فاقد الوعي مصفراً بالبيض الذي ضرب به ام رأسه ، وقد وجد في جيبه فروج ميت .

الأمير نصر ـ ها . ها . ها . يا ليتني كنت بصحبتكما .

أبو دلف ـ لقد اقسمت أن أبلغ مولاي الأمير كل ما جرى على علاته ، لا شاكياً ولا متجنياً . أما أعجب ما صنعه عبد الباسط ، وقد زاد به الطين بلة ـ كما يقال ـ فهو أنه .

عبد الباسط (مقاطعا صارخا) ـ التمساح . التمساح . هذا هو .

الأمير نصر ـ ماذا جرى ، ادرك الرجل . لقد أغمى عليه .

(يسمع صوت سقوطه ، ووقع اقدام مقتربة)

عبد الباسط (بصوت خافت) ـ التمساح .

أبو دلف ـ هذا وهم تمكن من نفسه ولم أستطع يا مولاي أن أقتلعه . وهذا هو الرسام الصيني الذي حدثت مولاي عنه قادم ، فارتاع عبد الباسط لرؤيته وعاودته ذكرى التمساح الخرافي . ولست ادري لماذا يحضر تشانج تشنج وو متجشماً مشقة السفر .

الأمير نصر ـ اترك زميلك راقداً حتى يفيق ، سنرى ما هو امر هذا الزائر .

تشانج تشنج وو ـ السلام على الأمير المعظم .

الأمير نصر ـ وعليك السلام . خذ مكانك على الرحب والسعة .

تشانج تشنج وو ـ إن مولاي حاكم كانتون اوفدني بهذه الهدية إلى سموكم (يناوله إياها) إنها رسم هذا السيد وزميله عندما نزلا بحرفاً كانتون ، وقد صورتهما على هـذه اللوحة الخشبية وأمر مولاي ان اضع نفسي تحت تصرف سموكم إذا ما اعجبكم هذا الفن ، واردتم ان اخدم سموكم ، وقد زودني بهذه الرسالة الرسمية اليكم (يناوله اياها)

الأمير نصر ـ إن هـذا للطف عظيم وتفضل من سيدك ، وسأكتب إليـه شاكراً واما الهدية ذاتها فتحفة شائقة سأعتز بها ، وسأستبقيك مكرماً لتمارس فنك بيننا ولتعلم مواطنينا الصالحين له

إن ديننا الحنيف كما يدعو الى السلوك القويم والتقوى — يدعو الى الاستمتاع بطيبات الحياة والى تقدير الجمال والتعلق به وفنك أيها الضيف العزيز هو من الوان الجمال المهذب انه لفن رفيع ، والاسلام نصير لجميع الفنون الرفيعة ، كما انه نصير لجميع المثل العليا ، فأهلاً بك ومرحباً

تشانج تشنج وو ـ دام مجدك يا سيدي

الأمير نصر — لا ريب ان عبد الباسط عند ما يثوب الى رشده سيسر من رؤية صورته معك على هـذه اللوحة المتقنة ، كما سيبتهج لهذا اللقاء الذي لم يكن ينتظره كيف حاله الآن يا ابا دلف (يذهب اليه ابو دلف ليفحصه)

(موجها خطابه الى تشانج تشنج وو) عاد عبد الباسط معتل الصحة من مشقة السفر ، وتصيبه احياناً نوبات اغماء ، ولكن لا خطر عليه ولا ريب انه سيبتهج لرؤيتك

ابو دلف — اخذ يستعيد وعيه يا مولاي ها هو يفتح عينيه ويتأمل

عبد الباسط (صارخا ملتاعا وقد شاهد تشانج تشنج وو جالسا امامه) — التمساح التمساح !.

سلاّم الترجمان

درامة في فصل ذي ثلاثة مناظر

شخصيات الدرامة

الواثق بالله ـ الخليفة العباسي	الغضنفر ـ كبير الأدلاء
سلاّم الترجمان	ملك الخزر
ابن حرب ـ كاتم سرّ	جارية السمكة

المنظر الاول

في قصر الواثق بالله بمدينة « سر من رأى ـ Samarra » مساء يوم صيفي من سنة ٨١٤ م . وقد جلس هذا الخليفة العباسي يضرب على العود وينشد ، وفي حضرته سلام الترجمان وابن حرب .

الخليفة الواثق (ينشد على توقيع العود) : —

هل تعلمين وراء الحب منزلةً   تدني إليك فان الحبّ أقصاني .
هذا كتابُ فتى طالت بليّتهُ   يقولُ يا مشتكي بثي وأحزاني

(ثم يتوقف عن الانشاد ويضع العود)

ما رأيك في هذا الصوت يا سلام . أظنه يكمل المائة التي صنعتها .

سلاّم — آية في الجمال يا مولاي .

الخليفة الواثق — ولكني لم أدعك ثم ابن حرب لأجل هـذا يا سلام ، بل لأمر جدّ خطير .

سلاّم وابن حرب ـ خيراً ، إن شاء الله .

الخليفة الواثق ـ سأوفدك يا سلام في مهمة جليلة ، على أن يكون ابن حرب كاتم سرك .

سلام ـ كاتم سري يا مولاي . لا أعرف أحداً فضعني مثل ابن حرب ، بل لا أعرف

أحداً تفنن في اختراع الفضائح لي وتزويد امرأتي بها مثله ، وكل دالته يا مولاي أنها قريبته .

ها ! ها ! ها !

الخليفة الواثق ـ وما دفاعك عن نفسك يا ابن حرب ؟

ابن حرب ـ حاولت اصلاحه يا مولاي لخيره وخير عيلته .

سلام (محتجاً مقاطعاً) ـ إصلاحي . هل انقلبت الأوضاع ؟

ابن حرب ـ وجدته يا مولاي في زقاق الأعرج مخموراً وقد أيقظ الناس بصياحه فصبّت امرأة من شباك ماء على رأسه .

سلام (محتجا مقاطعا)ـ سبحان الله سبحان الله

الخليفة الواثق ـ ها ! ها ! ها ! ما شاء الله . أنعم بامامنا الواعظ .

ابن حرب ـ ألتمس من مولاي أن لا يصغى إليه . إنه يهذي .

الخليفة الواثق !ـ لا جناح عليه ولا عليك إذا أعلنت التوبة . أكمل حديثك يا ابن حرب .

ابن حرب ـ فلما أدركته يا مولاي تشبث بملابسي فسقطنا معاً في الوحل . ولما سألته عن حاله قال إنه كان يصلي الفجر ، وان ملابسه ابتلت من كثرة الوضوء .

الخليفة الواثق ـ (مقاطعا) ها ! ها ها ! لعله كان يتوضأ فوق ملابسه . ها ! ها ! ها !

ابن حرب . . وسرت به نحو منزله وهو يترنح ويسبّ إمام المسجد ، فاذا إمام المسجد المزعوم هو صاحب الخمارة التي مررنا بها في طريقنا .

الخليفة الواثق (مقاطعاً) ـ ها ! ها ! ها ! تبارك الله تعالى

ابن حرب ـ فلما سألت صاحب الخمارة عما حدث ، قال إنه نهاه عن الاسراف في الشرب فلم يرتدع ، وتمادى فأصرّ على أن يؤم جميع الحاضرين صلاة الفجر في الخمارة متوضئين بالخمر ، وأن يكون هو إمامهم ، وأخذ يصيح بالدعوة الى تقوى الله

ها ! ها ! ها !

الخليفة الواثق (مقاطعاً ، متهكماً) ـ نعمت التقوى

ابن حرب ـ وأخيراً اعترف صاحب الخمارة بأنه اضطر الى ان يلقي به وبعربيد آخر ادّعى انه من اولياء الله الصالحين خارج الخمارة

الخليفة الواثق (مقاطعاً) ـ ها! ها! ها! لقد كدت انسى المهمة الخطيرة التي دعوتكما لها، ولكني اريد قبل التحدث عنها ان اسألك يا ابن حرب ماذا كنت تصنع في زقاق الأعرج عند الفجر، وعليك ان تصدقني القول وقد امنتكما

ابن حرب ـ كنت يا مولاي قادماً من خمارة اخرى

الخليفة الواثق (مقاطعا) ـ ها! ها! ها

ابن حرب ـ ولكني يا مولاي لم اكن مخموراً مثله، ولو ان امرأتي رفضت إدخالي البيت بعد ان تطلعت في وجهي وزعمت انى شخص آخر

الخليفة الواثق ـ ها! ها! ها! حرام ان اردّيكما بعد ان امنتكما، فلأدع ذلك للزمن، والآن أنصتا جيداً الى ما عندي

لقد رأيت في المنام ان السد الذي بناه الاسكندر ذو القرنين مفتوح، وهذا السد كما تعلمان واقع بين ديار المسلمين وديار يأجوج ومأجوج، فاستيقظت مذعوراً وبعد التروي ارسلت في طلبكما الليلة وقد اعتزمت ان ابعث بك يا سلام، يعاونك ابن حرب، لتفقد هذا السد

سلاّم — سيجدني مولاي عند حسن ظنه بي دائماً.

ابن حرب (وجلا) — يا مولاي. إذا كنت مأكولاً فكن أنت آكلي. وهل يرضيك أن تتركني تحت رحمة سلام وبنفسه ما بها ضدي. لا ريب عندي انه سيبارك أمة يأجوج ومأجوج إذا ما قطعوني إرباً إرباً وأكلوني. ومن يدري فقد يستمرىء طعم لحمي.

سلام ـ والعياذ بالله.

الخليفة الواثق ـ ها! ها! ها! انى أعهد فيك الشجاعة دائماً يا ابن حرب.

سلام ـ وأنا كذلك.

ابن حرب ـ أسمعت يا مولاي انه فرحان لهذه المصيبة التي تنتظرني. أما الشجاعة. الشجاعة يا مولاي قد تنازلت عنها عندما حطمت امرأتي الابريق فوق رأسي في تلك

الليلة المباركة — ليلة القدر .

الخليفة الواثق ـ ها ! ها ! ها ! لا ريب أنها كانت لك خيراً من ألف شهر .

ابن حرب ـ لاعجب يا مولاي اذا كنت ذعرت لتلك الرؤيا ، فاسم يأجوج ومأجوج من أسماء الجن التي تحاشى الله سبحانه وتعالى ، رحمة بعباده ، ذكرها في كتابه الكريم .

الخليفة الواثق — ها ! ها ! ها ! اطمئن يا ابن حرب فلن يقل عددكم عن خمسين رجلاً ، ومعكم مئتا بغل لحمل الزاد والماء ، وسأعطي سلاّماً كتاباً الى حاكم أرمينية ليقضي حوائجكم ويسهل مهمتكم .

ابن حرب ـ اذن استودعك الله يا مولاي ، فلا أمل لي في رؤيتك ثانية ، ما دمت ستطرحني بين ثلاثة أعداء أشداء من الكواسر :

ولو كان يأجوج لكنت أتقيته ولكنه مأجوج أيضاً وسلاّم !

فواضيعتي ما بين غول مصاحبي وغولين قدامي ، أهلكي اسلام !

الخليفة الواثق ـ ها ! ها ! ها ! ها ! ها ! ها !

•

المنظر الثاني

في طريق البعثة بأرض سوداء كريهة الرائحة بعد أن ساروا ستة وعشرين يوماً ، وقد مرض ابن حرب في الطريق بداء المفاصل .

ابن حرب ـ هات الخل يا سلام ، أنقذني ، ان هذه الرائحة الكريهة تذكرني بخمارة مسكويه

سلاّم ـ ارأيت مبلغ وفائي لك ومبلغ مخاوفك السخيفة

ابن حرب ـ انعم بك من رفيق ، ويا حبذا لو وجدت لك حيلة في امري ، فلا انا قادر على السير ولا على الجلوس ولا على الرقاد ، لقد نال مني داء المفاصل

سلام ـ لم يبق لك الاّ ان تطير

ابن حرب ـ لقد اخلص لنا الأدلاء ، فلولا رائحة الخل هذا لزهقت روحي ، ومن اين هذه الرائحة الخبيثة لهذه الأرض السوداء الكريهة ، كأنها عدو لنا بالمرصاد ، بعد

سيرنا ستة وعشرين يوماً

سلاّم ـ عليك ان تحتمل يا صاحبي فأمامنا جنة وعدنا بها الأدلاء

ابن حرب ـ لم نسمع عن احد فارق الجحيم الى الجنة

سلام ـ الا تعلم اننا لم نصل الى هنا سالمين الا بعد توصية من حاكم إلى آخر فلولا كتاب حاكم أرمينية الى حاكم اقليم السرير ، ولولا كتاب هذا الى امير إقليم اللاّن ، ولولا كتاب هذا الأمير الى فيلانشاه، ولولا كتاب فيلانشاه الى ملك الخزر لما كنا في عالم الأحياء

ابن حرب ـ ومن قال انى في عالم الأحياء ، عليّ بالخل يا سلام ، انقذني من هذه الرائحة اللعينة

سلام ـ يقول الغضنفر كبير الأدلاء إن امامنا مسير عشرة ايام في هـذه الأرض السوداء

ابن حرب (مقاطعا مهموما) يا خبر اسود

سلام ـ ثم نصل الى اقليم فيه مدن خرّبها شعب يأجوج ومأجوج ، ثم ننتهي الى السور المنشود ، ويقول الغضنفر إنه لا بدّ لنا من السير سبعة وعشرين يوماً قبل ان نبلغ ضالتنا

ابن حرب (يائسا) ـ هـذا ما توقعته ، فأدفني يا سلام هنا ومعي زجاجة خل ، اقرأ الفاتحة صورة على روحي

سلام ـ لا تيأس يا ابن حرب ، وقد احتفظت لهـذا البغل لك ، وسأرماك بقية الطريق !

ابن حرب ـ خلني يا صاحبي في هذا الجحيم ، فلا أنتظر أفضل منه ، ولك أن تترك معي هذا البغل أنيساً ، فقد يفهمني .

سلام ـ يؤكد الغضنفر أننا سنجد بعد ذلك الاقليم حصوناً تسكنها أمة مسلمة تتكلم العربية والفارسية ، ولكنها لم تسمع بخليفة المسلمين قط .

ابن حرب ـ لا بدّ أنها قد كفرت الآن . عليّ بالخل يا سلام . عليّ بالخلّ .

المنظر الثالث

في قصر ملك الخزر في أمسية خريفية من العام نفسه ، وبعد استقباله رجال البعثة جلس يحادثهم ثم عرض عليهم أعجوبة لم يسمع بها من قبل .

ملك الخزر ـ وما هذا الوادي الذي تتحدث عنه يا سلام .

سلام ـ وصلنا في آخرة مراحلنا يا سيدي قبل المجيء إلى ملككم السعيد إلى جبل لا نبات عليه ، يقطعه واد عرضه مائة وخمسون ذراعاً . وفي الوادي باب ضخم جدًّا من الحديد والنحاس ، عليه قفل طوله سبعة أذرع وارتفاعه خمسة ، وفوق الباب بناء متين يرتفع إلى رأس الجبل . وكان رئيس تلك الحصون الاسلامية يركب في كل جمعة ومعه عشرة فرسان ، مع كل منهم مرزبة من حديد ، فيجيئون إلى الباب ويضربون القفل ضربات كثيرة ليسمع من يسكنون خلفه ، فيعلموا أن للباب حفظة ، وليتأكد الرئيس وأعوانه الفرسان من أن أولئك السكان لم يحدثوا في الباب حدثاً .

ملك الخزر ـ يظهر أنك تتحدث عن الحصون الواقعة في جبال القوقاز على مقربة من دربند ، في إقليم داغستان ، غربي بحر قزوين .

الغضنفر ـ (كبير الادلاء) هـذا هو الصواب يا مولاي ، وقد رأى هؤلاء السادة الاعاجيب التي اشتهوا رؤيتها وعاينوا ذلك السور العظيم . وبحمد الله لم يبلغوا ملكك السعيد إلاّ وقد استردوا عافيتهم وأخص بالذكر السيد ابن حرب الذي كان عليلاً منهوكاً في الطريق ، وكذلك بغالنا وصلت سالمة .

ملك الخزر ـ نحمد الله على سلامتكم وعافيتكم . ليس لدينا أيها السادة من الغرائب ما قد يشوقكم . ولكننا اصطدنا اليوم سمكة عظيمة جدا جذبناها بالحبال ورفعناها إلى هنا . وهي خلف هذا الستار ، وسأزيحه الآن فتأملوا .

(يزيح الستار فتبدو هذه السمكة العظيمة جداً على منصة خشبية كبيرة)

أصوات تعجب ـ الله أكبر ، الله أكبر ، تبارك وتعالى .

ابن حرب ـ أنظر يا سلام ، أنظر ها هي اذن السمكة تنتفخ ، أنظر يا عمي ، أنا في وعي .

أصوات تعجب ـ الله أكبر ، الله أكبر .

ابن حرب — جارية بيضاء جميلة عارية ، وسطها مثل السمكة تخرج من اذن السمكة الكبيرة ، أأنا في وعي .

أصوات تعجب — سبحان الخلاّق العظيم .

(جلبة مستمرة لا تنطي الجوار) .

ابن حرب ـ أأنا في وعي يا سلام !

سلاّم ـ ورأس الخليفة لا أعرف إذا كنت انا حالماً يقظاً ، فلا تسألني عنك .

أصوات تعجب ـ سبحان خالق المعجزات

ابن حرب — يظهر يا سلام أننا مخمورون وقد نال منا ذلك الشراب .

سلام ـ وأية خمر يا صاحبي ـ ولو كانت رحيقاً مختوماً ـ يمكن أن تبدع هذا المنظر الرائع .

ملك الخزر — هذا كل ما عندنا أيها السادة ، فبلغوا نبأه الى خليفة المسلمين حفظه الله ، لعله يسر به ، وقد يتنازل بزيارته إيانا ليرى ما رأيتم .

الغضنفر ـ هذه يا مولاي أعجوبة الأوائل والأواخر ، ولقد طوّفت بأقطار كثيرة فما رأيت مثلها .

سلاّم ـ إننا لمشدوهون يا مولاي مما ترى .

(أصوات خلفية : الله أكبر تبارك وتعالى)

ابن حرب ـ أنظر يا سلام ، انها تبتسم الي ، اني باق هنا يا ابن عمي حق بحضر مولاي الخليفة . لقد استعمدت قوتي .

سلام ـ إن ضيافتنا تنتهي اليوم ، فمحال بقاؤك .

ابن حرب — سأبقى معها في أذن السمكة .

[النهاية]

الفهرست

للجزء الاول من المجلد الحادي والعشرين بعد المئة
